Tel.: 2787250-2788166
Fax : 0522-2787310

MAJALLAH

RNI No.(U.P. ARA/2000/2341)
Regd. No. LW-NP/64/2003/2005

AL-BAAS-EL-ISLAMI

(Vol.49, Issue-3) Jan. 2004

(Monthly)

إصدارات جديدة :

أوجز المسالك

إلى

موطأ مالك

في ١٨ / مجلداً

تأليف

الإمام المحدث

محمد زكريا الكاندهلوي المدني

المتوفى سنة ١٤٠٢ هـ

اعتنى به وعلق عليه

الأستاذ الدكتور تقي الدين الندوي

تم طبع هذا الكتاب على نفقة سمو الشيخ سلطان بن زايد آل نهيان

نائب رئيس مجلس الوزراء لدولة الإمارات العربية المتحدة

Printed and Published by ATHAR HUSAIN on behalf of Majlis-e-Sahafat-wa-Nashriyat (Depot of Journalism and Publ...

المجلد
التاسع
والأربعون

شعارنا التوحيد إلى الإسلام من جديد

البعث الإسلامي

مجلة اسلامية شهرية جامعة

العدد الرابع

ذو الحجة ١٤٢٤هـ

في هذا العدد

العلامة الندوي رح يتحدث عن : التربية في العهد الحاضر !
الغزو الثقافي الغربي أهدافه و وسائله ومنهج مقاومته
حق الشعوب في تقرير المصير !
التآلف بين المؤمنين
حينما ينال الحق مكانته من الصراحة !
لفتة للإمام والمؤذن
صياغة المفردات في العربية والإنجليزية
نظرات حول الشعر الحر
الاستفادة من قصص القرآن والسنة في مهمة الدعوة
دروس نبوية للنساء
يا أهل مكة !
و لله جنود السماوات و الأرض
إصدارات جديدة • إلى رحمة الله تعالى

تصدرها

مؤسسة الصحافة والنشر

أنشأها :
فقيد الدعوة الإسلامية الأستاذ محمد الحسني -رحمه الله تعالى-
في عام ١٣٧٥هـ-١٩٥٥م

البعث الإسلامي

مجلة إسلامية شهرية جامعة

العبقري المطلوب !

العبقري العصامي الذي يأخذ من علوم الغرب ما تفتقر إليه أمته وبلاده ، وما ينفع عملياً ، وما ليس عليه طابع غرب أو شرق ، إنما هي علوم تجريبية تطبيقية ، وينفض عن كل ما يأخذه من الغرب غباراً لصق به في القرون المظلمة ، وفي عصر الثورة على الدين ، وفي حالة توتر أعصاب وقلق نفوس ، يأخذ العلوم المفيدة مجردة من روح الإلحاد والعداء للدين ، ومن النتائج الخاطئة ، ويطعمها بالإيمان بفاطر الكون ومدبره ، ويستنتج منها نتائج أعظم وأوسع وأعمق وأكثر سعادة للإنسانية مما توصل إليه أساتذتها الغربيون .

العبقري العصامي الذي لا ينظر إلى الغرب كإمام وزعيم خالد ، وإلى نفسه كمقلد وتلميذ دائم ، إنما ينظر إلى الغرب كزميل سبق ، وكقرين تفوق في بعض العلوم المادية والمعاشية ، فيأخذ منه ما فاته من التجارب ، ويفيض عليه بذوره ما سعد به من تراث النبوة ، ويعتقد أنه إن كان في حاجة إلى أن يتعلم من الغرب كثيراً ، فالغرب في حاجة إلى أن يتعلم منه كثيراً ، وربما كان ما يتعلمه الغرب منه أفضل مما يتعلمه هو من الغرب ، ويحاول أن ينهج - بذكائه وجمعه بين حسنات الغرب والشرق ، وقوى الروحانية والمادية - منهجاً جديداً يجدر بالغرب تقليده وتقديره ، ويضيف إلى المدارس الفكرية ، والمناهج الحضارية مدرسة جديدة تستحق كل عناية ودراسة وتقليد واتباع .

هذا هو العبقري العصامي الذي لا يزال مفقوداً في صفوف القادة والزعماء في العالم الإسلامي على كثرتهم وتنوعهم ، وهذا هو العملاق حقاً الذي يبدو في جانبه القادة المقلدون المطبقون صغاراً متواضعين كالأقزام .

(سماحة العلامة الندوي رحمه الله)

الاشتراكات السنوية

● في الهند :
مائتا روبية ٢٠٠/٠٠
ثمن النسخة : ٢٠/ روبية

● في العالم العربي
وفي جميع دول العالم :
٢٥/ دولاراً بالبريد العادي
و٤٠/ دولاراً بالبريد الجوي

☆☆☆

عنوان المراسلات

ترسل الاشتراكات بالشيك باسم : "البعث الإسلامي"
(ALBAAS-EL-ISLAMI)

☆☆☆

وذلك بالعنوان التالي

مكتب البعث الإسلامي
(مؤسسة الصحافة والنشر)
ندوة العلماء ،
ص.ب ٩٣ لكناؤ (الهند)
ALBAAS-EL-ISLAMI
C/o. NADWATUL-ULAMA
P.O. Box : 93, LUCKNOW (U.P.)
Pin : 226 007 (INDIA)

☆☆☆

المجلة غير ملتزمة بكل فكر ينشر فيها

رئاسة التحرير

سعيد الأعظمي

واضح رشيد الندوي

المجلد التاسع والثلاثون

العدد الرابع
ذو الحجة ١٤٢٤هـ
فبراير ٢٠٠٤م

المراسلات

البعث الإسلامي
مؤسسة الصحافة والنشر
ص.ب ٩٣ - لكناؤ (الهند)
ALBAAS-EL-ISLAMI
C/o NADWATUL ULAMA
P.O. Box : 93, LUCKNOW
Pin : 226 007 (INDIA)
Ph: 0522-2741235

ندوة العلماء

تأسست ندوة العلماء و دار العلوم التابعة لها على مبدأ التوسط والاعتدال ، والجمع بين القديم الصالح والجديد النافع ، وبين الدين الخالد الذي لا يتغير، والعلم الذي يتغير ويتطور ويتقدم ، وبين طوائف أهل السنة التي لا تختلف في العقيدة و المنصوص ، و قامت من أول يومها على الإيمان بأن العلوم الإسلامية علوم حية نامية ، و أن منهاج الدراسة خاضع لناموس التغير و التجدد ، فيجب أن يتناوله الإصلاح و التجديد في كل عصر ومصر، وأن يزاد فيه ، ويحذف منه بحسب تطورات العصر ، و حاجات المسلمين و أحوالهم .

(أبو الحسن علي الحسني الندوي رح)

محتويات العدد

- **العلامة الندوي رح يتحدث عن** : التربية في العصر الحاضر ! — ٣
- **الافتتاحية** : — سعيد الأعظمي الندوي — ٤
  حينما ينال الحق مكانته من الصراحة !
- **التوجيه الإسلامي** : — أ.د. محمد الدسوقي — ٩
  الغزو الثقافي الغربي أهدافه و وسائله ومنهج مقاومته — الأستاذ محمد المكي الناصري — ٢١
  حق الشعوب في تقرير المصير !
- **الدعوة الإسلامية** : — الأستاذ أشرف شعبان أبو أحمد — ٢٨
  التآلف بين المؤمنين — فضيلة الأستاذ الشيخ علي بن عبد الله بن الشبل — ٣٧
  لفتة للإمام والمؤذن
- **دراسات و أبحاث** : — البروفيسور معين الدين الأعظمي الندوي — ٤٦
  صياغة المفردات في العربية والإنجليزية — الدكتور محمد السيد علي بلاسي — ٥٧
  نظرات حول الشعر الحرّ
- **دراسات في كتاب الله تعالى**: — الأستاذ محمد نعمة الله محمد إدريس الندوي — ٦٤
  الاستفادة من قصص القرآن والسنة في مهمة الدعوة
- **دراسات في السنة** : — الأستاذ محمد حسن بُريغش — ٧٣
  دروس نبوية للنساء
- **صور و أوضاع** : — الأستاذ واضح رشيد الحسني الندوي — ٨٥
  ولِلّهِ جُنُودُ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ
- **في حديقة الشعر** : — شاعر طيبة ؛ محمد ضياء الدين الصابوني — ٩٢
  يا أهل مكة ! (شعر)
- **إصدارات جديدة** : — قلم التحرير — ٩٤
  مفردات القرآن للإمام الفراهي رحمه الله
  الطمأنينة والاعتدال في أركان الإسلام للشيخ ابن تيمية ، ومعدل الصلاة للشيخ البركوي — " " " " — ٩٤
  رسالة التوحيد المسمّى : بـ "تقوية الإيمان" — " " " " — ٩٥
  نظرة على ذات البارئ تعالى — " " " " — ٩٦
  رسالة دكتوراه حول الشعر العربي في ليبيا — " " " " — ٩٦
- **إلى رحمة الله تعالى** : — قلم التحرير — ٩٧
  الأديب الإسلامي الأستاذ محمد حسن بُريغش في ذمة الله تعالى — " " " " — ٩٩
  فضيلة الشيخ المفتي مظفر حسين في ذمة الله تعالى — " " " " — ١٠٠
  فضيلة الشيخ محمد أفضل حسين في ذمة الله تعالى — " " " " — ١٠٠
  الحاج إبراهيم الخاتفوري في ذمة الله تعالى

• الإمام الندوي رح يتحدث عن :

التربية في العهد الحاضر !

"قد اتفق أعظم علماء التربية في العهد الحاضر على "أن عملية التربية في أمة وبلاد ؛ ليست بضاعة تصدر إلى الخارج ، أو تستورد إلى الداخل ، كالمصنوعات أو المواد الخام ، أو الحاجيات والمخترعات التي لا تختص ببلد دون بلد ، إنما هو لباس يفصل على قامة هذه الشعوب وملامحها القومية ، وتقاليدها الموروثة ، وآدابها المفضلة ، وأهدافها التي تعيش لها، وتموت في سبيلها ، وأن التربية ليست إلا وسيلة راقية مهذبة لدعم العقيدة التي يؤمن بها شعب أو بلد ، وتغذيتها بالاقتناع الفكري القائم على الثقة والاعتزاز ، وتسليحها بالدلائل العلمية ، إذا احتيج إليها، و وسيلة كريمة لتخليد هذه العقيدة ، ونقلها سليمة إلى الأجيال القادمة ، وأن أفضل تفسير لنظام التربية ؛ هي أنها السعي الحثيث المتواصل يقوم به الآباء و المربون لإنشاء أبنائهم ، على الإيمان بالعقيدة التي يؤمنون بها ، والنظرة التي ينظرون بها إلى الحياة والكون ، وتربيتهم تربية تمكّنهم من أن يكونوا ورثة صالحين للتراث الذي ورثه هؤلاء الآباء عن أجدادهم ، مع الصلاحية الكافية للتقدم والتوسع في هذه الثروة" .

الافتتاحية :

بسم الله الرحمن الرحيم

حينما ينال الحق مكانته من الصراحة !

إن ما أدلى به رئيس وزراء ماليزيا الدكتور محاضر محمد في الدورة العاشرة لمؤتمر القمّة لمنظمة المؤتمر الإسلامي ؛ التي عقدت في "بوتراجايا" في منتصف شهر أكتوبر عام ثلاثة وألفين الميلادي (٢٠٠٣م) من تصريحات جريئة ؛ حول قضايا العالم الإسلامي ، وخاصّةً الاعتداءات الصهيونية في فلسطين ، وموقف القادة الغربيين من هذه القضية ، وما يتمخض منها من السلبيات التي تقشعر منها الجلود ، كانت لها رجّة كبيرة على المستوى العالمي .

وقد جاء في كلمة الدكتور محاضر : "إن اليهود يحكمون العالم بالوكالة" وإن المعانة التي لقيها الشعب اليهودي في الماضي بأوربّا لا تبرّر الاستيلاء على أراضٍ عربيّة ، واضطهاد المسلمين ، وقال : اليهود مذنبون باضطهادهم المسلمين تماماً ، مثلما كان يضطهد الأوربيون اليهود على مَرّ العصور" .

لقد أثارت هذه الصراحة ضجّةً شديدةً في الولايات المتحدة ؛ وأوربا ؛ واستراليا ، وكانت ردود فعل ضدّها من قبل الزعماء الغربيين والقادة اليهود الذين طالبوا من الزعيم الماليزي أن يعتذر عما قال ، ويتراجع عن مرئياته ، ولكنه رفض ذلك ، وظلّ متمسكاً بما صرّح به ، بل وأضاف إلى ذلك : "إن اليهود يجب أن لا يعتقدوا أبداً

أنهم الشعب المختار الذي لا يمكن انتقاده" ، وقال : إن اليهود جاءوا إلى فلسطين منذ خمسين عاماً مضت نتيجة اضطهاد اليهود في أوربا ، وأقاموا دولة فيها وطردوا الفلسطينيين من أرضهم ليتحوّلوا إلى لاجئين ، وقال : إن قادة الغرب يتابعون سياسية الانحياز إلى اليهود زاعمين أن من شأنهم توجيه انتقادات للعرب والمسلمين ، وليس لأحد حقّ في انتقاد الأوربيين أو اليهود ، واستمرّ رئيس الوزراء الماليزي في تصريحاته المُرّة ، وبيان الحقائق النيّرة ، وقال : إن الغرب يسعى لاستعمار دول العالم الإسلامي مرّة أخرى بأشكال مختلفة من خلال محاولة فرض هيمنته الاقتصادية والسياسية والثقافية على الدول الفقيرة" .

هذه بعض الإشارات الخاطفة إلى ما جاء في تصريحات رئيس الوزراء الماليزي في مؤتمر القمّة ، وفي المؤتمر الصحفي الذي عقده عقب الجلسة الختامية للمؤتمر ، وردّ فيه على حملة الهجوم الغربي الشرسة ، بشأن تصريحاته عن الحقائق الصارخة المعاشة ، كما كان لها صدى إيجابي في العالم الإسلامي ؛ وبلدان الأقليات المسلمة ، كأن هذه الكلمة الصريحة الجريئة ، وزّعت العالم بين المؤيدين والمنتقدين ، ومعلوم أن الحقائق المرة التي يشاهدها العالم كله ، لا تثير سخطاً إلا لدى أولئك القادة السياسيين في الغرب الذين يتبعون سياسة القوّة والقهر ، ويحلمون بالحكم على العالم كله ، أمّا المنصفون من أهل الغرب نفسه ، والمسلمون بأكملهم إنّما قرّوا عيناً ، و وجدوا ضالّة القائد العصامي في هذا الرجل الحازم الحكيم الذي وُفق إلى مصارحة بالحق ، والكشف عن الحقائق التي كانت تبحث عمن لا يخاف لومة لائم في إبدائها .

ليست هذه الصراحة هي الأولى من نوعها، وإنّما سبق مثلها بل وأكثر منها في التاريخ الإسلامي الذي يزخر بـ "كلمة حقّ عند سلطان جائر"، ولكن الشيء الذي يضفي على صراحة هذا الرجل المؤمن الغيور الجريء لوناً من الشجاعة والغيرة الإيمانية هو الجهر بالصدق والحقّ؛ في ظروف قاتمة مليئة بالمخاوف والأخطار، وفي أوضاع لا تسمح بالمصارحة، وإعلان الحقائق، وخاصةً في مناسبة كانت تجمع عدداً كبيراً من قادة دول العالم ورؤسائها، فقد يفضّل المرء في مثل هذه المناسبة أن يتظاهر بالحياد، ويتعامل بالوداد والمداراة، ولا ينبس ببنت شفة تنمّ عن دوافع المخالفة لآراء مجموعة من الضيوف.

فإن ما يجري اليوم على ساحة السياسة العالمية من شئون وإجراءات؛ قد لا تجد أيّ نوع من التأييد والموافقة من الشعوب المسالمة؛ بل تكون مرفوضة من أعماق القلب، ومكروهة لدى الخاصة والعامة إلا أن همّتهم تأبى الاستنكار والجهر بالاستيلاء، وقد شهد العالم من الوقائع والأحداث في أقرب زمن مضى ما كان مبعث انتقاد لاذع، وموضع استنكار عامّ شديد، ولكن الناس آثروا السكوت على الكلام بل عاكسوا الضمير، ونافقوا؛ لمجرّد التفادي من الوقوع في ضغط وعقاب لا تحمد عقباه.

أمّا تعاليم الإسلام فلا تُعلّمنا الانزواء عن ميدان الحياة والرضا بالخسآة والذلّ بأيّ حال، وإنما يعلم الإسلام أتباعه بالثبات على الحق، وجادّة الواقعية بأسلوب من الحكمة والموعظة تارةً، وبأسلوب المجادلة بالتي هي أحسن تارةً أخرى، وذلك يتضمن استنكار الباطل، وكلّ ما يحيد بالمرء عن طريق الطاعة والإيمان، وإنّ لنا في

نصص القرآن والسنة التي تدور حول إحقاق الحق؛ وإبطال الباطل دليلاً كافياً وخاصة للدعاة والعاملين في حقل الدعوة والعمل لبناء الحضارة الإسلامية؛ على ما يجب أن يتبنّوها من أساليب الحكمة في مخاطبة الناس ومواجهة أهل الحكم والقيادة.

من ثمّ تتمثل أمامنا قصّة رجل مؤمن من آل فرعون يكتم إيمانه، وهو يخاطب فرعون ذلك الملك المتكبّر الجبّار الذي أراد أن يعمّ الأرض بالفساد، يقصّها علينا كتاب الله تعالى، فيقول: ﴿ وَقَالَ رَجُلٌ مُؤْمِنٌ مِّنْ آلِ فِرْعَونَ يَكْتُمُ إِيْمَانَهُ أَتَقْتُلُونَ رَجُلاً أَنْ يَقُولَ رَبِّيَ اللهُ * وَقَدْ جَاءَكُمْ بِالْبَيِّنَاتِ مِنْ رَّبِّكُمْ * وَإِنْ يَّكُ كَاذِباً * فَعَلَيْهِ كَذِبُهُ * وَإِنْ يَّكُ صَادِقاً يُّصِبْكُمْ بَعْضُ الَّذِيْ يَعِدُكُمْ * إِنَّ اللهَ لاَ يَهْدِيْ * مَنْ هُوَ مُسْرِفٌ كَذَّابٌ * يَا قَوْمِ لَكُمُ الْمُلْكُ الْيَوْمَ ظَاهِرِيْنَ فِي الأَرْضِ * فَمَنْ يَّنْصُرُنَا مِنْ بَأْسِ اللهِ * إِذْ جَاءَنَا * قَالَ فِرْعَونُ: مَا أُرِيْكُمْ إِلاَّ مَا أَرَى * وَمَا أَهْدِيْكُمْ إِلاَّ سَبِيْلَ الرَّشَادِ * وَقَالَ الَّذِيْ آمَنَ يَقَوْمِ إِنِّيْ أَخَافُ عَلَيْكُمْ مِثْلَ يَوْمِ الأَحْزَابِ * مِثْلَ دَأْبِ قَوْمِ نُوْحٍ وَّعَادٍ وَّثَمُودٍ * وَالَّذِيْنَ مِنْ بَعْدِهِمْ * وَمَا اللهُ يُرِيْدُ ظُلْماً لِّلْعِبَادِ * وَيَا قَوْمِ! إِنِّيْ أَخَافُ عَلَيْكُمْ يَوْمَ التَّنَادِ * يَوْمَ تُوَلُّوْنَ مُدْبِرِيْنَ * مَا لَكُمْ مِّنَ اللهِ عَاصِمٍ * وَمَنْ يُّضْلِلِ اللهُ * فَمَا لَهُ مِنْ هَادٍ ﴾ (سورة غافر/٢٨-٣٣).

إن الجهر بالحق والمصارحة بالعقيدة من أعظم آيات الإيمان واليقين، فبها يتميز المسلم عن غيره، وعليها يقوم صرح الحضارة الإيمانية التي بناها الإسلام لنشر العدل والحُبّ والثقة، ولتحلية الحياة بالفضائل والسلوكيات الرفيعة بين المجتمعات الإنسانية كلّها، وقد شهد بذلك الإنسان يوم كان مثالاً صادقاً للرجل المؤمن الغيور، وهو

يحمل لواء الدعوة والحكمة والعلم ، وكان يقود العالم إلى ساحة العزّ والسلام والاستقرار ، ويملأ المجتمع البشري بالهدوء والطمأنينة ، ويرفع منارات شامخةً لنور العلم والإبداع يهتدي الناس في ضوئه إلى سبيل النجاة ، ويُدركون ضالتهم من العلم والإيمان والحضارة ، وقد تركوا بصمات واضحةً على جبين التاريخ في جميع المجالات الحيوية .

وإن دراسة خاطفة لتاريخ أوربّا تكشف لنا عن هذه الحقائق ، فلم يحمل المسلمون إليها العلوم والحضارة يوم دخلوها ، وأقاموا في ربوعها فحسب ؛ بل وأيقظوا أوربّا التي كانت غارقة في السبات ، وعائشة في الوحشية والظلام ، وما قصة دخول المسلمين إلى أقطار العالم بخافية على رجل العلم والمعرفة ، ولو لا حضارة المسلمين التي قامت على أسس ثابتة من المعرفة والعدل ؛ والحق والصدق ؛ والواقعية والصراحة ، لما حملوا إلى العالم البشري هذه الهدايا الغالية من القيم والأخلاق والفضائل والآداب والأمن والسلام والحبّ والوداد ، ولما مثلوا دوراً في تقريب المجتمعات الإنسانية بعضها إلى بعض ، و تحويلها إلى أسرة إنسانية واحدة تمثّل مصداقية ، قول الله تعالى : ﴿ يَا أَيُّهَا النَّاس ! إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ ذَكَر وَّأُنْثَى * وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوباً وَّ قَبَائِلَ * لِتَعَارَفُوا * إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللهِ أَتْقَاكُمْ * إِنَّ اللهَ عَلِيْمٌ خَبِيْرٌ ﴾ ، وجاء تفسيره على لسان النبوة ، على صاحبها ألف ألف تحية وسلام ، فقد قال : "كلكم من آدم وآدم خلق من تراب ، لا فضل لعربي على عجمي ؛ ولا لعجمي على عربي ، ولا لأبيض على أسود ؛ ولا لأسود على أبيض إلاّ بالتقوى"

سعيد الأعظمي
٢٤/١٠/٢٠هـ

الغزو الثقافي الغربي
أهدافه ووسائله ومنهج مقاومته
(٢/الأخيرة)

بقلم : الأستاذ الدكتور محمد الدسوقي
الأستاذ بقسم الفقه والأصول بجامعة قطر (سابقاً)

وفي العقود الأخيرة تطورت وسائل الغزو الثقافي ؛ ولم تعد مقصورة على الاستشراق والتبشير ؛ وطلاب البعثات الذين كانوا يوفدون إلى أوربا للدراسة ؛ فيرجع كثير منهم بمفاهيم أخرى غير التي نشأ عليها ، ومنهم من كان يرجع بزوجة أجنبية تقوم بدور هذا الغزو في بيته وبين أولاده - وإنما جدت وسائل أخرى أهمها الإعلام بكل إمكاناته ؛ وبخاصة البث المرئي الفضائي فإنه خطر داهم مباشر مروع ، لأنه يقتحم علينا بيوتنا ومخادعنا ؛ ويخاطب رجالنا ونساءنا وأطفالنا ، وليس من اليسير التحكم فيه ، إنه يبث القيم والأفكار التي تشكل تهديداً كاسحاً للهوية والثقافة العربية والإسلامية ، ويزيد من الخطورة أن الشبكات العربية والإسلامية الخاصة بالبث المرئي لا تتمتع بالمنافسة المتكافئة مع الشبكات الغربية .

وظهر أخيراً الجانب التقني للاتصال (الإنترنت) وهو جانب في غاية الأهمية ؛ لأنه حلقة الوصل بين أطراف عدة متباعدة أو متقاربة ، فهو بهذا يلغي عامل المسافة .

إن وسائل الاتصال وبخاصة شبكة الإنترنت يمكن أن تكون لها فوائدها الثقافية والعلمية ، ولكن نظراً لأن هناك سياسة غزو ثقافي تتخذ من كل وسيلة ممكنة نشر ما تريد نشره من مفاهيم وآراء ،

أصبحت شبكة الإنترنت مصدر خطر فادح على الأمة العربية والإسلامية، فهناك إلى جانب الغزو الثقافي الغربي، غزو ثقافي صهيوني وماسوني وبهائي وقادياني، يهتم بانحلال الأخلاق؛ وإشاعة الرذيلة، وتدمير الأسرة المسلمة.

والغزو الغربي الثقافي لا يكتفي بالوسائل الإعلامية التي تتمتع بالإمكانات التقنية والعلمية، وإنما يحاول أن يظهر هذا الغزو في صورة تمثل التقاء الشعوب حول أهداف واحدة، ومن ثم كانت "العولمة" التي نادت بها الدول الغربية، وهذه العولمة يراد بها فرض النموذج الغربي على العالم الثالث؛ وبخاصة العربي والإسلامي، والعولمة لها أبعادها الاقتصادية والإعلامية؛ والأخلاقية والدينية، وهذا أخطر الأبعاد في مفهوم العولمة، لأنها تسعى لابعاد الدين؛ والقيم الأخلاقية من حياة الشعوب، ومن أجل هذا عقدت مؤتمرات تدعو إلى مفاهيم العولمة؛ ومنها مؤتمر السكان بالقاهرة، وقد تضمنت وثيقته فرض القيم الغربية على العالم الإسلامي؛ وذلك بتغيير هياكل الأسرة؛ وإلغاء الفطرة الخاصة بالذكورة والأنوثة، وصياغة قيم التحلل في صيغة عالمية لتحل محل القيم الإسلامية.

ومن عجب أن هناك مثقفين عرباً ينادون بالعولمة، وما أفرزت من ثقافة في طريقها؛ لأن تكون عالمية بحجة أن الثقافات التقليدية لن تصنع شيئاً أمام ثقافة العولمة.

وقد حذر مؤتمر الوحدة الإفريقية الذي عقد بالجزائر أخيراً من خطر العولمة؛ ودعا إلى تعاون المنظمات؛ والمؤسسات الإقليمية لمواجهة الغزو الثقافي ليس بالشجب اللفظي؛ ولكن بالتخطيط العلمي والعملي.

والذي لا يمكن تجاهله في قضية وسائل الغزو الثقافي، تعاون

الغرب وتخطيطه لإنشاء دولة عبرية في قلب الوطن العربي ليس حباً لليهود، ولكن لاتخاذهم وسيلة من وسائل الغزو المعنوي، والقضاء على القوة العربية والإسلامية، فهذه القوة تهدد مصالح الغرب، ومصالحهم أهم لديهم من كل القوانين الدولية؛ والقيم الإنسانية؛ والمبادئ الأخلاقية.

فوسائل الغزو الثقافي على تعددها وتنوعها لها هدف واحد تسعى إليه، وهذه الوسائل أخطرها أخيراً الإعلام عن طريق الإذاعة؛ وكالات الأنباء والسينما؛ والأقمار الصناعية؛ وشبكة الإنترنت، فهذه الوسائل تحتكر الأخبار وتتعمد التشوية وطمس الحقائق، كما تهتم بالقيم التجارية والانحلالية، وما تنشره من عبادة للعنف والقوة، ومن تمجيد لنمط الحياة الغربية؛ وبخاصة في المجتمع الأمريكي والصهيوني، ومن دعاية لمجتمع استهلاكي لمنتجات من صنع غربي.

أما شبكة الإنترنت؛ فهي تقدم عنا معلومات لا تعرف الصدق؛ ولا الموضوعية؛ ولا الأمانة العلمية، ولهذا تعد أخطر الوسائل التي تفتق عنها الفكر الغربي.

- مظاهر الغزو الثقافي:

تتمثل مظاهر الغزو الثقافي الغربي في واقعنا العربي والإسلامي، في ثنائية التعليم وجعل بعضه دينياً؛ وبعضه الآخر مدنياً، فالإسلام دين الوحدة، والتعليم فيه نوع واحد من حيث مبادئه العامة وقواعده الكلية، ولكن تأثير الغزو الغربي خلق لدنيا ما يسمى بالديني والمدني في كثير من الأمور، وليس بين الدين والدولة؛ أو بين العلم والدين تناقض؛ أو صراع.

وتعد المدارس الأجنبية على تباين مشاربها وأهدافها أشد خطراً من ثنائية التعليم؛ فهي لون من الاستعمار الثقافي.

كذلك تتمثل مظاهر الغزو الثقافي في سيادة القوانين الوضعية ؛ والثقافة الأجنبية ، وإضعاف اللغة العربية ، ولا يفهمن أحد أن الإسلام يريد من المؤمنين به العزلة والنفور من كل فكر بشري ، فهذا الدين يدعو إلى العلم ؛ ويأمر بالنظر والتدبر ، ويحضّ على طلب الحكمة دون نظر إلى مصدرها ؛ أو قائلها ، ولكن هذا كله تهيمن عليه النظرة الإسلامية التي ترتكز على دعائم العقيدة ، ومن ثم تصبح جهود العلماء في مختلف الميادين محكومة بمبادئ الإسلام ، فهم فيما يبحثون ويدرسون تسدد خطاهم عقيدة راسخة ، فيكون العلم لديهم خادماً للإيمان ؛ ومصدر خير ؛ وسعادة للإنسان .

وأخطر مظاهر الغزو الثقافي نشر الفساد الخلقي ، فلقد أقام الاستعمار دور اللهو والمجون باسم الفن ، وأغرى المرأة بالتبرج والتمرد على قوانين الله باسم تحريرها من ظلم الرجل ، وإنقاذها من سجن البيت ، وسكن لوسائل الإعلام التي تحض على الخلاعة ؛ وتهتم بتوافه الأمور ، إلى غير ذلك من عوامل تحطيم الأخلاق ؛ وإذاعة المنكر والفساد .

إن المجتمعات الإسلامية اليوم قد ألفت أعرافاً وعادات يرفضها الإسلام ، وهذه العادات فرضت نفسها رويداً رويداً بفضل التخطيط المدروس الذي يهدف إلى تغريب الأمة ؛ وسلخها عن خصائصها ومقوماتها الذاتية .

وأما تمزيق العالم العربي والإسلامي ؛ فهو من مظاهر الغزو الثقافي ، لأنّ في هذا التمزيق تحطيماً للوحدة ، وقضاء على القوة ، وكانت الوسائل لهذا التحطيم وخلخلة كيان المجتمع الواحد في الدعوة إلى الفرعونية في مصر وإلى الفينيقية في لبنان وسوريا ، وإلى الأشورية والكردية في العراق ، وإلى الساسانية في إيران ، وإلى البربرية في

المغرب ، وإلى الطورانية في تركيا .

وكانت الدعوة إلى إحياء اللهجات الإقليمية و وضع قواعد لها والكتابة بها ؛ وهجر اللغة العربية الفصحى من دلائل العمل على تمزيق العالم العربي .

إن القاعدة الاستعمارية "فرق تسد" طبقها المستعمرون في العالم الإسلامي تطبيقاً مزق هذا العالم ؛ وآثار الشقاق بين قادته بسبب الحدود ؛ والمياه الإقليمية ، وما زال بعد تحرره واستقلاله يجتر آثار تلك القاعدة ؛ حتى الآن .

وكان تشجيع الأقليات غير الإسلامية للسيطرة على (١) ، مقدرات المسلمين من شواهد الغزو الثقافي لإضعاف المسلمين وتمزيقهم وتعد كارثة فلسطين مثالاً صارخاً شاهداً على التخطيط للتفريق والتمزيق ، والحيلولة دون التنمية والبناء .

إن الصهيونية لا تريد فلسطين فحسب ؛ ولا تقصد النيل و الفرات لتقف عندهما ، وإنما تبغي محو الإسلام وكل آثاره في الأرض ، وهي تلتقي في هذا مع سياسة الغزو الثقافي الغربي .

• آثار الغزو الثقافي :

تلك في إجمال أهم مظاهر الغزو الثقافي ؛ ولكن ما هي آثار ذلك الغزو في حياتنا الفكرية والسلوكية ؟

لقد أشرت سابقاً إلى طرف من آثار هذا الغزو ، وأوجز فيما يلي أهم تلك الآثار في حياة المجتمع العربي والإسلامي .

---

(١) انظر : غارة تبشيرية جديدة على إندونيسيا ؛ لأبي هلال الإندونيسي (ط/ليبيا) .

● أولاً - اضطراب المفاهيم الإسلامية :

إن معظم المسلمين اليوم بوجه عام ليس لديهم تصور واضح مستقيم للإسلام وتعاليمه ، ولا أقصد عامة الناس ومن لم تتح لهم فرصة التعليم والثقافة فهؤلآء على فطرتهم في العقيدة ؛ وإن شابتها ألوان مختلفة من الخرافات والانحرافات بسبب الجهل والأمية ، وإنما أعني هؤلآء الذين نالوا حظا من الدراسة على تفاوت بينهم فيها ، فإنهم لا يكادون يلمون بالمفاهيم الإسلامية إلماماً دقيقاً ، بل إن معظمهم قد هجمت عليه أفكار أجنبية ومفاهيم غير إسلامية جعلته يصدر أحكاماً تعوزها الموضوعية والدراسة ، وتعكس اضطراب المفاهيم الإسلامية في أذهانهم ؛ وبخاصة ما يتصل منها بالحياة الاجتماعية والاقتصادية ، وسياسة الحكم ، ومن ذلك مثلاً تعدد الزوجات وميراث المرأة ، وحد السرقة والزنا ، والحرابة والربا ، و صلاحية الإسلام لكل زمان ومكان وسوى هذا من المسائل والقضايا ، التي لا تتضح معالمها الإسلامية لدى عامة المثقفين والباحثين .

ومر ذلك إلى ثنائية التعليم ، وسيطرة الثقافة الغازية ؛ وتأثير المستشرقين والمبشرين ؛ و وسائل الإعلام ؛ والاتصال المختلفة .

● ثانياً - طغيان النظرة المادية :

لقد حدث في حياة المسلم المعاصر أن أصبحت المادة غاية ، ومفهوم المادة هنا ينسحب على المال ، وكل ما يتصل بشهوات الحياة و متاعها ما كان منه مباحاً ؛ أو محظوراً ، وأدى هذا إلى صراع بين الناس ، لا يقيم للقيم أو الأخلاق وزناً ، وكانت النتيجة الطبيعية فتور الهمة ، عن الجهاد بالمال والنفس ، وانصراف كل إنسان إلى حياة تحكمها المصلحة الفردية والمنفعة المادية ، والتطلع نحو مزيد من الرفاهية

والثراء والجري وراء شهوات الحياة وزخرفها (٢) .

والذي أؤكده أن الإسلام لا يبغض في المال وغيره من نعيم الحياة ، بل يأمر بالسعي والعمل من أجل كسب المال ؛ ويجعل هذا العمل طاعة وعبادة ، المهم أن يكون المسلم سيداً للمال ينتفع به في حدود ما شرع الله ؛ ولا يكون عبداً له (٣) .

● ثالثاً - سيطرة العادات الأجنبية :

الملاحظ في حياة المسلمين اليوم أنهم يسارعون إلى تقليد غيرهم في أمور لا علاقة لها بالتطور الحضاري والتقدم العلمي ، ولكنها انعكاس لظروف مجتمعات تختلف عنا اختلافاً جذرياً ، ومن ثم لا يكون الجري وراءها إلا مظهراً من مظاهر ضعف الشخصية وتميعها وعدم حصانتها بالقيم والمثل التي تحفظ عليها أصالتها وترد عنها كل ما يفقدها أو يضعفها هذه الأصالة .

إن كل "موضة" جديدة تظهر لدى غيرنا تلقى منا سرعة في تقليدها دون تمحيص لها ، وتسهم للأسف وسائل الإعلام في هذا ، وليس أدل على ذلك من أن الصحف التي تهتم بالمرأة والأسرة في العالم الإسلامي - والمعروف أن الأسرة هي المجتمع الصغير الذي يتألف منه المجتمع الكبير - هذه الصحف تتسابق في نشر أنماط الثياب التي تنشرها المجلات الأجنبية ، وهي بهذا النشر تدعو القارئ المسلم رجلاً كان أو امرأة إلى ارتداء مثل هذه الثياب ؛ وكأننا أصبحنا أجهزة استقبال آلية لا قدرة لديها على التمييز بين نافع و ضار ؛ و صالح وطالح.

(٢) انظر : الإسلام على مفترق الطرق ترجمة ؛ الدكتور عمر فروخ (ط/بيروت) .
(٣) انظر : المال في الإسلام ؛ للدكتور محمد الدسوقي (ط/القاهرة) .

إن مظاهر الخنفسة والتبرج الفاضح، وما يتصل بالزينة وتنوع صورها، وإقامة المراقص التي تجمع بين الرجال والنساء والاحتفاء بالمناسبات غير الإسلامية، وما بدأ يغزو أعرافنا في حفلات الزفاف، كل هذا صور من عادات أجنبية اتخذت في واقعنا عرفاً؛ وإن لم يكن شاملاً، فإن دائرة تأثيره تتسع يوماً بعد يوم، والخطر الماحق هو أن تتسع الدائرة حتى تعم المجتمع كله، فهذا يعني فقدانه الذاتية الإسلامية وخضوعنا فكراً وسلوكاً للغزو المعنوي.

● رابعاً - ظهور اتجاهات فكرية مناهضة للإسلام:

كان لضعف التمثل الصحيح للإسلام، وفتور الحماس نحو الالتزام بتعاليمه، وغزو مظاهر وأعراف الحضارة الغربية لتقاليدنا الأصيلة، أثره في تهيئة المناخ الملائم لظهور الاتجاهات الفكرية المناهضة للإسلام، لأنها على اختلافها تدور حول قطب واحد، وهو خلخلة الكيان الإسلامي؛ واحتواء الأمة الإسلامية.

إن المسلمين عرفوا في عصورهم الزاهرة الاتجاهات؛ والمذاهب الفكرية، غير أن هذه المذاهب كانت آية من آيات احترام العقل الإنساني؛ وصورة مشرقة من صور النهضة العلمية الفكرية، ثم هي بعد هذا كانت تلتزم بالإطار العام لمبادئ الإسلام، وكان نشاطها كله يقوم أساساً على خدمة هذا الدين؛ وفهم أحكامه وفلسفة قيمه، وإثبات أنه أولى للبشرية من سواه، فلما هبت رياح الضعف والتخلف خمدت القرائح والهمم؛ وعاشت الأمة على التراث الذي خلفه سلفها الصالح.

---

(٤) انظر: معالم الشريعة الإسلامية؛ للدكتور صبحي الصالح: ص/٢٤٤ (ط/بيروت).

صحيح أن الأمة عرفت في الماضي بعض ألوان من الاتجاهات الفكرية المنحرفة، ولكنها لم تؤثر في المجتمع تأثيراً مزعجاً، وتوارت كما يتوارى كل كذب يبطله الصدق؛ أو باطل يدحضه الحق.

أما في العصر الحاضر؛ فإن الأوضاع السيئة للعالم الإسلامي من ضعف واحتلال أتاحت الفرصة لظهور العديد من الاتجاهات الفكرية التي تدعى أنها تنشد البناء والتقدم، وتحارب الضعف والتخلف، وكان بعض هذه الاتجاهات تقليداً صريحاً لما شاع في الغرب؛ أو الشرق من مذاهب وأفكار، وذلك كالدعوة إلى "العلمانية" أي تنحية الدين عن المجتمع، ففي الدول غير الإسلامية قام الصراع الذي لا يعرفه الإسلام بين الدين والدولة؛ أو بعبارة أخرى بين رجال الدين؛ ورجال السياسة، وانتهى هذا الصراع بعزلة رجل الدين تقريباً؛ وإبعاد الدين من حيث القوانين والأحكام عن المجتمع.

ولما خضع العالم الإسلامي للاحتلال عمل الاستعمار على إبعاد الدين، وفرض قوانينه وتشريعاته؛ وقام من المسلمين من يدعو إلى ذلك؛ وينادي بأن الإسلام دين لا دولة، وكان الاستعمار بأجهزته الإعلامية والفكرية وراء هؤلاء يشد أزرهم ويمجد أفكارهم، ولهذا لقي ما قام به "أتاتورك" في تركيا كل إطراء وثناء، لأنه ألغى الخلافة وأبعد الدين، وكتب التركية بالحروف اللاتينية بدلاً من الحروف العربية، وأمر بارتداء الأزياء الغربية، واتباع التقاليد الأجنبية، ظناً منه. أو اعتقاداً أن تركيا بهذا ستلحق بركب الأمم القوية المتقدمة، ولم يتحقق لتركيا غير الاضطراب والقلق؛ والحيرة بين تراثها وعقيدتها، وما أراده أتاتورك لها.

ولقد ذهب مستشرق معاصر؛ وهو "ولفرد سميث" في كتابه:

(الإسلام في العصر الحديث) إلى أن ما قام به أتاتورك عمل رائع، وهو ليس منافياً للإسلام، بل إن جهوده وثورته تعد أول حركة إسلامية ناجحة في تاريخ المسلمين المحدثين، ونصح هذا المستشرق المسلمين بأن يحذوا حذو أتاتورك إن أرادوا لإسلامهم البقاء، ولا شك في أن دعوة هذا المستشرق إلى تبني العلمانية التركية؛ هي دعوة لتنحية الإسلام عن كل أرض يحكمها، وليست دعوة للحفاظ على هذا الدين بحال من الأحوال، فكل جهود المستشرقين إلا من عصم الله؛ وقليل ما هم تحارب مد الإسلام وقوته، وتريد أن تصل إلى هدفها البعيد في القضاء على الإسلام.

ومن قبيل الدعوة إلى العلمانية تلك الآراء التي يزعم أصحابها أن الإسلام يقف ضد التطور العلمي، وأن هناك تناقضا بين الحقائق العلمية، والمفاهيم الإسلامية، أو الآيات القرآنية؛ والأحاديث النبوية الصحيحة إلى غير ذلك من تشكيك في قدرة الإسلام على مواجهة متطلبات الحياة المتجددة؛ والحضارة المتطورة.

إن الإسلام - وهذه حقيقة لا مراء فيها - لا يقف موقف العداء من كل فكر إنساني، وإنما يقف موقف الناقد البصير الذي ينتفع بالخير؛ ويهمل كل ما يهدد كيانه أو يمسخ خصائصه، وفي العصر الحديث كانت تلك المظاهر للغزو الفكري؛ والآثار التي تمخضت عنها عملاً منظماً يستهدف زحزحة الإسلام عن المجتمع، والقضاء على الشخصية الذاتية للأمة الإسلامية؛ فهي في جوهرها حرب صليبية مقنعة.

- منهج مقاومة الغزو الثقافي:

لابد من الاعتراف أولاً بأن مقاومة الغزو الثقافي ليس أمراً يسيراً، لأن هذا الغزو يملك وسائل تقنية متطورة لا نملك مثلها، ولأن

هناك تعاوناً بين دول كبرى تنفق الأموال بسخاء لدعم الغزو الثقافي؛ واستمرار نشاطه، وهي في سبيل ذلك أيضاً تجند آلاف الأشخاص للعمل في مجال هذا الغزو، ومع هذا يمكن مقاومة الغزو الثقافي والحيلولة بينه وبين أهدافه التي تمثل كيداً شديداً، وعداءً ماكراً للأمة العربية والإسلامية، وذلك بالأخذ بقاعدة "التحصين" التي تنطلق من مبادئ ديننا وأعرافنا الصحيحة، وهذا التحصين يحتاج إلى جهود متتابعة، وإلى تعاون بين الدول العربية والإسلامية، وإلى تخطيط علمي، تقوم به مراكز الأبحاث والدراسات الاجتماعية في الجامعات والمعاهد المتخصصة، هذا التخطيط الذي يقدم الأسس العملية لوضع البنية الرئيسة لمواجهة هذا الغزو، ومنع تغلغله والانتصار علينا في معركة الحفاظ على الهوية والأصالة.

إن مناهجنا الدراسية في المدارس والجامعات لا تولى هذا الغزو اهتماماً، ولا تحذر منه بأسلوب علمي، كما أن وسائل الإعلام المختلفة لا تشير إليه، ولا تكشف عن خطورة أهدافه وأعتقد أن لهذه الوسائل دوراً مهماً في مقاومة الغزو عن طريق تقديم البديل الذي يغنى عن الركض خلف ما تقدمه وسائل الإعلام الغربية، وأيضاً عن طريق تقديم الدراسات التي تبين أوزار الغزو الثقافي؛ وآثاره المختلفة.

ويلاحظ أن دور المسجد يكاد يكون معدوماً في مجال مقاومة الغزو الثقافي؛ لأن جمهور الأئمة ثقافتهم محدودة، ويدورون في نطاق محدود، والمسجد يؤمه الجميع من مختلف الأعمار والثقافات، فإذا وضعت له خطة علمية، توضح الأسلوب الذي يتبعه الأئمة في الحديث عن الغزو الثقافي، وكان لهؤلاء الأئمة مع هذا معرفة صحيحة بأهداف هذا الغزو و وسائل ومدى خطورته على أصالتنا؛ ومستقبل أجيالنا، فإن المسجد يسهم بدور إيجابي في التصدى للغزو الثقافي،

ويقدم الطعم الواقي من أخطار هذا الغزو .

وفضلاً عما أسلفته اقترح إقامة مؤتمر عام حول الغزو الثقافي وأسلوب التصدى له ، يشترك فيه أهل الذكر في شتى التخصصات ؛ ولا سيما التخصصات الإعلامية والاجتماعية ؛ والثقافية والاقتصادية لتحرير خطة عمل تقي الأمة أخطار هذا الغزو الذي يطور كل يوم من وسائله خدمة لأهدافه في التدمير والهيمنة ، وفرض ما يسمى بالعولمة .

إن الأمر جد خطير ، ولكن رحلة الألف ميل تبدأ بخطوة واحدة ولعل فيما قدمته ما يساعد على أن نبدأ هذه الخطوة ؛ ونتابع بعدها السير دون كلل لنظل بحق خير أمة أخرجت للناس بأيدينا النور الذي يبدد ظلمات الجهالة والضلالة ؛ والعنصرية الباغية ، ويهدي إلى مفاهيم الأخوة الإنسانية التي تقوم على الاحترام المتبادل ؛ وعدم احتكار المعرفة ، والأخذ بمبادئ العدالة والمساواة والتعاون على الخير والبر حتى تتحرر البشرية مما تعاني منه الآن من صراعات مريرة تنال من كرامة الإنسان وحريته ، وتعرض الملايين للمجاعات وهجرة الأوطان ، وكأن الحضارة المادية التي غزت الفضاء وقفت عاجزة أمام أهواء الإنسان وأطماعه وشهواته ، وهي بهذا ستقود البشرية إلى دمار شامل ما لم تتداركها رحمة الله .

***

وصلى الله تعالى على خير خلقه
محمد و على آله و صحبه أجمعين

****

حق الشعوب في تقرير المصير !

بقلم : الأستاذ محمد المكي الناصري
(الأمين العام لرابطة علماء المغرب ، عضو أكاديمية المملكة المغربية ، ورئيس المجلس العلمي بعاصمة المغرب)

إذا ألقينا نظرة ولو خاطفة على "مشكلة الأقلّيات" وما تعرضت له عَبْر العصور من الضياع والحرمان ، وما لا تزال تتخبط فيه في عدة مناطق من العالم إلى الآن وحتى الآن ، دون أن تجد لها حلاً عالمياً عادلاً ، فمنذ أن نشأت المجتمعات المنظمة ، وكانت فيها أغلبية تسودها الوحدة والانسجام ، وأقلّية تختلف عنها ولا تشبهها ، إلا وكانت الأقلية بالنسبة للأغلبية مَرْمَى السّهام ، كأنما هي نغمة نشاز لا محل لها في أوركسترا المجتمع المنظّم المنسجم ، ولا سيما إذا كانت تلك الأقلية على غير دين الأكثرية ، أو على غير المذهب الرسمي للسلطة الحاكمة .

وقد أثار دهشة المسلمين الأول ، واستغرابهم ما وجدوا عليه الأقليات الدينية تحت الحكم الفارسي في فارس وما جاورها ، والحكم البيزنطي في بنزَنْطة والمستعمرات التابعة لها ، وهالَهُم ما كانت تتعرّض له تلك الأقليات تحت حكمها من عَنَت واضطهاد ، وما يقع عليهما باستمرار ، من سَطْو وابتزاز ، وفتك وإبادة ، بدعوى أن دينها مخالف لدين الدولة ؛ كما في النظام الفارسي ، أو أن مذهبها مخالف للمذهب الرسمي المعترف به في الدولة ؛ كما في النظام البيزنطي ، بينما أثارت المبادئ الأساسية والإنسانية التي نادى بها الإسلام ، والتي بلغت أصداؤها الأقليات الدينية ، حماس تلك الأقليات ، وأنعشت

أملها العريض في الخلاص مما هي فيه من ضيق معنوي ومادي، وتأكدت أن في إمكانها المحافظة على وجودها، والحفاظ على عقيدتها وتقاليدها، إذا استظلت بظلّ الإسلام الوارف، فقد أعلن الإسلام إلى الناس جميعاً ثلاثة مبادئ أساسية قام عليها، وتمسّك بها، ولم يحد عنها: مبدأ الحرية الدينية، واختيار العقيدة، ومبدأ تكريس كرامة الإنسان، وإبراز منزلته المتميزة بين الأكوان، ومبدأ قبول التعايش بين الشعوب والأديان، وكل هذه المبادئ الثلاثة نصّ عليها دستور القرآن، ففي شأن الحرية الدينية نزلت عدّة آيات، في طليعتها الآية/٢٥٦ من السورة الثانية، وهي سورة البقرة: ﴿ لاَ إِكْرَاهَ فِي الدِّيْنِ ﴾، وفي شأن كرامة الإنسان نزلت الآية/٧٠ من السورة/١٧؛ و هي الإسراء: ﴿ وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِيْ آدَمَ * وَحَمَلْنَاهُمْ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ * وَرَزَقْنَاهُمْ مِّنَ الطَّيِّبَاتِ * وَفَضَّلْنَاهُمْ عَلَى كَثِيْرٍ مِّمَّنْ خَلَقْنَا تَفْضِيْلاً ﴾، وفي شأن مبدإ التعايش بين الشعوب والأديان نزلت عدة آيات في طليعتها الآية/١٣ من السورة/٤٩؛ وهي سورة الحُجُرات: ﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ! إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَّأُنْثَى * وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوباً وَّقَبَائِلَ * لِتَعَارَفُوا ﴾، والآية/٤٨ من السورة الخامسة؛ وهي سورة المائدة: ﴿ لِكُلٍّ جَعَلْنَا مِنْكُمْ شِرْعَةً وَّمِنْهَاجاً * وَلَو شَاءَ اللهُ لَجَعَلَكُمْ أُمَّةً وَّاحِدَةً ﴾.

وعملاً بمقتضى تلك المبادئ الأساسية والإنسانية لم يجد الإسلام من جهته أيّ مانع من الاعتراف للأقليات الدينية بحقها في تقرير مصيرها، بل إنه وجد في مبادئه حافزاً قوياً على التعهّد لتلك الأقليات برعايتها والحفاظ على خصوصياتها، ما دامت هي متمسّكة بدينها لا تبغي به بديلاً، وعندها رغبة صادقة في العيش مع المسلمين في أمن وسلام، و وئام وانسجام.

وزاد ثقة الأقليات الدينية، اليهودية والمسيحية، بسماحة الإسلام وسَعَة صدره، والوفاء بعهده، وكونه مؤهّلاً أكثر من غيره

لرعايتها، ما عُرف به الإسلام من الوقوف موقف الحياد إزاء معتقداتها ومذاهبها، إذ لا يتحيّز لأي مذهب من تلك المذاهب، ولا لأي مُعتقد من تلك المعتقدات، بل يعاملها جميعاً على قدم المساواة، وقوفاً عند حد اللّقب العام، الذي خصّ أهلها به الإسلام، وهو لقب "أهل الكتاب"، وإنه للقب ذو مغزى عميق، يذكّر الجميع بالتوراة التي أنزلت على موسى، والإنجيل الذي أنزل على عيسى، عليهما وعلى نبينا الصلاة والسّلام.

أم الخلافات الدينية الخاصة بمختلف الأقليات، فقد حسم القرآن أمرها عندما نزلت الآية/١٢٤ من سورة النحل؛ وهي السورة/١٦: ﴿ وَإِنَّ رَبَّكَ لَيَحْكُمُ بَيْنَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فِيْمَا كَانُوا فِيْهِ يَخْتَلِفُونَ ﴾.

وسعياً من المشرع الإسلامي في إقامة نظام عادل يكفل للأقليات الدينية الراحة والطمأنينة والعيش الهنيء، ويضمن لها المحافظة على كيانها التقليدي المتوارث، بصورة دائمة ومستمرة، تحقيقاً لرغبتها في التمسك بدينها، والحفاظ على خصوصياتها، وإقراراً لحقها في تقرير مصيرها على هذا الوجه، داخل نطاق الدولة الإسلامية، استعرض المشرع الإسلامي جميع أنواع الضغط والاضطهاد التي كانت تتعرض لها تلك الأقليات، وتشكو منها تحت الحكم الفارسي، والحكم البيزنطي وغيرهما مما سبقهما، وأحصى ما كانت محرومة منه من الحريات والحقوق الفردية والجماعية، مما جعلها تعيش دهراً طويلاً في جو من الخوف والقلق والعيش المزري، ولم يلبث المشرّع أن وضع للأقليات الدينية نظاماً تشريعياً منبثقاً من تصوره الديني السمح، يحقق لها كل ما كانت تَتُوق إليه، بل تَجاوز ما كانت تطمح إليه بكثير، حتى أصبحت تلك الأقليات، وكأنها دولة داخل الدولة، بفضل رعاية الدولة الإسلامية و تسامحها وسَعَة

صدْرها، وحَسَب المفهوم الواسع الذي أعطته لحق تقرير المصير.

وتمكيناً لهذا الجمْع الموقر من تصور النظام الذي وضعه المشرّع الإسلامي للأقليات الدينية المتساكنة في دار الإسلام، وتقييمه ومقارنته بما سبقه أو لحقه، بالنسبة للأقليات المتساكنة خارج العالم الإسلامي قديماً وحديثاً، نلخّص في هذا العرض الوجيز جملة من الحقوق والضمانات التي تعهّد بها المشرّع الإسلامي، والتي وفّى بعهْده في تطبيقها تطبيقاً كاملاً يعترف به المؤرخون المنصفون، ورجال القانون المدقّقون، كما وَرَد ذلك في شهاداتهم المتطابقة التي استغنينا عن إيرادها في هذه العجالة، اكتفاء بإيرادها في عرضنا المطوّل الموضوع بين أيديكم.

فمن تلك الحقوق و الضمانات الاعتراف للأقليات الدينية - فردياً وجماعياً - بالحرية الشخصية والأهلية القانونية دون قَيْد خاص، والاعتراف لها بعصمة الدّم وعصمة المال، بحيث لا يُعتدي على فرد منها في نفسه ولا في ماله، والاعتراف لها بحق الإقامة الدائمة والاستقرار حيث تشاء من تراب الدولة الإسلامية، سواء اختارت السكنى بين أظهر المسلمين، أو فضلت السكنى في حي خاص بها يجمع شملها، ويُسهّل الاتصال بين أفرادها، وينبثق عن هذا الحق بصورة آلية حق التنقل من بلد الإقامة إلى أي بلد آخر من دار الإسلام للتجارة أو للسياحة أو للحج إلى الأماكن المقدّسة عندها، بحيث تتنقّل بين الأقطار الإسلامية بكامل الحرية.

ومن تلك الحقوق والضمانات الاعتراف لها بخصوصياتها الدينية والثقافية، والحفاظ عليها، بحيث تُواصِل حياتها العادية في ممارسة شعائر دينها، وتسْيير معابدها، واحترام أعيادها ويوم عطلتها الأسبوعية المقرر عندها، وتباشر تربية أبنائها في نطاق معتقداتها، وتعلمهم في مدارسها بنفس لُغاتها، وتختار لمؤسساتها الدينية

والثقافية مَن تراه أهلاً للإشراف عليها وإدارتها من بين أعضائها، كما تُنشئ لصالح أبنائها المؤسسات الاجتماعية والخيرية التي تضمن لها تنظيم التكافل فيما بينها، وتُوقف الأوقاف للإنفاق عليها.

ومن تلك الحقوق والضمانات الاعتراف لها بنظامها العائلي وتقاليدها المتّبعة في كل ما يتعلّق بأحوالها الشخصية، والاعتراف لها بقضاء خاص يفصل النزاعات التي تطرأ بين أفرادها على يد قُضاة منها، طبقاً لقانونها الملّي الجاري به العمل عندها، والاعتراف لها باختيار عُدُول موثّقين مقبولين عند قُضاتها، يسجّلون العقود الجارية بين أفرادها على اختلاف أنواعها، وذلك بلغتها الخاصّة.

وإلى جانب هذه الحقوق والضمانات ذات الطابع الديني والمدني والثقافي والاجتماعي والقضائي، قدم المشرّع الإسلامي للأقليات الدينية المتساكنة في دار الإسلام حقوقاً وضمانات أخرى ذات طابع اقتصادي متحرّر إلى أقصى الحدود، فاعترف لها بحق الملكية على اختلاف أنواعها، وبحق الاحتراف والعمل والكسب المشروع، عن طريق الصناعة والتجارة والزراعة، سواء بالاشتراك مع المسلمين أو باستقلال عنهم، وسمح لها بمزاولة التجارة فيما بين أفرادها، ولو فيما لا يبيح الإسلام التجارة فيه، عَمَلاً بالقاعدة الشرعية: "نَتْرُكهُم وَمَا يَدِينُونَ"، وبمزاولة التجارة فيما بينها وبين المسلمين في كل ما تجوز التجارة فيه شرعاً في نظر الإسلام، في الداخل والخارج، وقد سجّل التاريخ الدور المهمّ الذي شاركت به الأقليات اليهودية والمسيحية في المبادلات التجارية بين العالم الإسلامي وبقية أطراف العالم، إلى جانب كبار التجار المسلمين، الذين تغصّ الموانئ والأسواق بمنتجات بلادهم في مختلف القطاعات.

ورغماً عن أن نظام الحكم في الإسلام لا يوجد فيه فصْل بين الدين والدولة، فإن الدولة الإسلامية خلال عهودها الزاهرة كلها لم

توجد عندها أيّ عقدة ولا تحفظ ضدّ استخدام أبناء الأقليات الدينية المتساكنة بين ظهرانَيْها، ما داموا محافظين على الولاء لها، ومُراعين شعور المسلمين ومصالحهم مراعاة كاملة، فاستخدمت نخبة منهم في مصالحها الإدارية، وقواتها العسكرية، و بعثاتها الدبلوماسية والعلمية، وقد كانوا يُقسمون يَمين الولاء والإخلاص عند تقلّدهم لمناصبهم، بالصيّغة الدَينية التي تناسبهم، على غرار ما يقوم به الموظفون المسلمون من أداء اليمين بالصيغة المطابقة للإسلام، وقد سجّل التاريخ أسماء عدّة شخصيات منهم على عهد الخلافة العباسية، والخلافة الفاطمية بالمشرق، والخلافة الأموية بالأندلس، والخلافة المغربية بشمال إفريقيا.

و تتويجاً لِمَا قدّمه الإسلام للأقليات الدينية التي استظلت بظله، اعترف لها بإنشاء رياسة دينية عُلْيَا يرجع إليها النظر في عامة شئونها، وتُوكل هذه المهمة إلى أبرز شخصية بينها، وبعد اختيارها يَصدُر الأمر من إمام المسلمين بتنصيبها، ويساعد هذه الرياسة في مهامها مجالس ملّية لكل أقلية، يكون لها حق التقرير والبت فيما هو من اختصاصها.

هذه هي الحقوق والمزايا التي ضمنها للأقليات الدينية عَقدُ العهد والأمان، المعروف في الفقه الإسلامي بعقْد الذمّة، ومقابلها تلتزم تلك الأقليات بثلاثة التزامات أساسية: التزام سياسي، والتزام اجتماعي، والتزام مالي.

أما الالتزام السياسي؛ فهو التزام الولاء للدولة الإسلامية التي أصبحوا من مواطنيها، وتَفَادِي كل ما من شأنه أن يكون فيه خطر على سلامتها وأمنها، وأما الالتزام الاجتماعي؛ فهو احترام دين الدولة ومقدساتها، ومراعاة شعور المسلمين من أبنائها، وأما الالتزام المالي؛ فهو المساهمة المباشرة في نفقات الدولة بدفع وجيبة سنوية

محدودة يُطلق عليها اسم "الجِزْيَة"، تمييزاً لها عن المساهمة التي يدفعها المسلمون لبيت المال باسم "الزكاة"، واختار المشرع الإسلامي أن يطلق عليها اسم الجزية، أخذاً من "الجزاء" لأنها عبارة عن جزاء، أيْ عِوَض ومقابل عما تتمتع به تلك الأقليات من حقوق وضمانات، وما تنتفع به من خدمات عامة متنوعة، وهي في نفس الوقت تأكيد من طرَفها لحُسن مواطنتها وتبعيتها للدولة الإسلامية، والدولة الإسلامية تقبضها من تلك الأقليات، كما تُحصّل الزكاة من أبنائها المسلمين، سواء بسواء، باعتبار أنهم جميعاً مواطنون في دولة واحدة، وإن كان المسلمون يتعبدون بدفع الزكاة، وينتظرون عنها الجزاء الأوفى عند الله في الآخرة.

وهكذا استطاع المشرع الإسلامي بهذا الحل المِثَالي والواقعي في آن واحد، أن يحقق للأقليات في دار الإسلام أمنيتها، ويضمن لها حريتها ويعترف لها بحقها في تقرير مصيرها، ومع الأسف لا يزال المجتمع الدولي - بالنسبة لحل مشاكل الأقليات، وما أكثرها في هذا العصر - دون المستوى المثالي والواقعي الذي ارتفع إليه المشرع الإسلامي، وأكبر الظن أن عدم إنصاف الأقليات، وإهمال مطامحها المشروعة في نفس القرن العشرين ورواسب المبدأ الذي كان سائداً منذ القدم مبدأ، هي الأسباب المباشرة لما يَسُود أوساطها من مظاهر التوتر والقلاقل والاضطرابات، وهو الذي يدفعها إلى مزيد من العنف والاعتداء على الأرواح والممتلكات، وما أحق المجتمع الدولي بأن يقف من هذه المشكلة موقف إنصاف وجد وصدق، حتى تحل مشكلة الأقليات بما يقتضيه العدل والحق.

***

التآلف بين المؤمنين

بقلم : الأستاذ أشرف شعبان أبو أحمد
(جمهورية مصر العربية)

يتراءى لكل ذي عينين يتعايش بين مجموعة من الأفراد ، سواء بين العاملين في مصلحة أو هيئة واحدة ، أو بين الدارسين في مدرسة أو جامعة معينة ، أو بين القاطنين في ذات الحي أو الوحدة السكنية ، أو حتى داخل الأسرة الواحدة ، يتراءى له قلة ما بينهم من تآلف إلا من رحمه ربي ، بل الأدهى والأمر من ذلك أنه قد يجد نيران العداوة والبغضاء قد ملأت قلوب بعضهم والتهمت أية عواطف جميلة يجب أن تكون بينهم ، وما ينطبق على الأفراد يجده ينطبق على الجماعات والدول ، ولم يكن لذلك أثر على سلوكياتهم نجاه بعضهم البعض فقط ؛ بل انعكس أثره على كثير من مناحي الحياة .

وتدلنا آيات القرآن الكريم على أن من مسببات وقوع العداوة والبغضاء بين أبناء أهل الملة الواحدة فيما سبق الإسلام من يهود أو نصارى ، هو تركهم بعض ما أمروا به ، فجزاهم الله تعالى بإلصاق العداوة والبغضاء بينهم ، قال تعالى في تقريره لحال النصارى : ﴿ فَنَسُوا حَظًّا مِّمَّا ذُكِّرُوا بِهِ * فَأَغْرَيْنَا بَيْنَهُمُ الْعَدَاوَةَ وَالْبَغْضَاءَ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ ﴾ (المائدة/١٤) ، ولقد وقع بين النصارى من الخلاف ، والشقاق والعداوة والبغضاء في التاريخ القديم والحديث مصداق ما قصه الله تعالى في كتابه الكريم ، وسال من دمائهم على أيدي بعضهم البعض

ما لم يسل من حروبهم مع غيرهم في التاريخ كله ، سواء كان ذلك بسبب الخلافات الدينية ؛ حول العقيدة أو بسبب الخلافات ؛ حول الرياسة الدينية أو بسبب الخلافات السياسية والاقتصادية والاجتماعية ، وفي خلال القرون الطويلة لم تسكن هذه الخلافات ، ولم تخمد هذه الحروب ؛ وهي ماضية إلى يوم القيامة ؛ كما قال أصدق القائلين ... (١) ؛ كما قال المولى ﷻ في تقريره لحال اليهود : ﴿ وَأَلْقَيْنَا بَيْنَهُمُ الْعَدَاوَةَ وَالْبَغْضَاءَ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ ﴾ (المائدة/٦٤) ، كما قال الله تعالى فيهم : ﴿ تَحْسَبُهُمْ جَمِيعًا * وَقُلُوبُهُمْ شَتَّى ﴾ (الحشر/١٤) فهم متباغضون غير متفقين ، وما تزال طوائف اليهود متعادية ، وإن بدا لنا عكس ذلك في هذه الفترة ، فينبغي ألا ننظر إلى فترة قصيرة من الزمان ولا إلى مظهر لا يشمل الحقيقة كاملة ، ففي خلال ألف وثلاثمائة عام ، بل من قبل الإسلام ، واليهود في شحناء وفي ذل كذلك وتشرد ، ومصيرهم إلى مثل ما كانوا عليه ... (٢) كما تدلنا آية قرآنية أخرى على أن شرب الخمر ولعب الميسر : "وقد حرّمهما الله علينا" هما مدخلان من مداخل الشيطان إلى الإنسان يهدف بهما الشيطان إلى وقوع العداوة والبغضاء بين الناس ، قال تعالى في سورة المائدة ، الآية/٩١ : ﴿ إِنَّمَا يُرِيدُ الشَّيْطَانُ أَنْ يُوقِعَ بَيْنَكُمُ الْعَدَاوَةَ وَالْبَغْضَاءَ فِي الْخَمْرِ وَالْمَيْسِرِ ﴾.

ومن المشاهد الحياتية يتراءى لكل ذي بصيرة أن البعد عن شريعة الله ﷻ في أي شأن من شئون الحياة صغر أم كبر هذا الشأن ، سبب لوقوع العداوة والبغضاء ، فالبعد عن شرع الله بداية في اختيار الزوجة الصالحة ؛ والزوج الصالح ، وتربية الأبناء وتهذيبهم ؛ والعدل بينهم ، وتقسيم الميراث ، سبب لانحراف الأبناء وتطاولهم على الآباء ، ولهجران الزوج أو الزوجة لبيت الزوجية ، ولامتلاء ساحات المحاكم

بالمتشلحنين على تقسيم التركة، عدم اتباع شرع الله، في معاملاتنا المالية؛ وفي إقامة النظام الاقتصادي والمالي للدولة سبب لما يعانيه أكثرية المسلمين من فقر مدقع، فلا طعام يسد جوعهم، ولا مساكن تواري سوآتهم، ولا علاج يداوي أمراضهم، بينما من المسلمين من هم يملكون الملايين ينعمون بها وينغمسون في إسرافها على البذخ والترف فيما أحله وحرمه الله، مما تسبب في وجود ضغائن وأحقاد بين الأغنياء والفقراء، وبين الأغنياء أنفسهم، وداخل الفقراء ذاتهم، عدم اتباع شرع الله في اختيار الحاكم؛ وإقامة نظام الحكم، سبب لسلبية بعض الناس، تجاه ما يجرى ويحدث من أحداث، ولتذمر البعض الآخر ونقمتهم على الحاكم والحكم، ولتعبيرهم عن سخطهم هذا بممارسات قد تشيع الفوضى والاضطرابات بين الناس وتجرمها القوانين والدساتير الوضعية للدولة، عدم اتباع شرع الله في إقامة خلافة إسلامية واحدة، تجمع شمل الدول الإسلامية جميعها، تحت رايتها، وتوحد كلمتهم ومواقفهم فيما بينهم، وفيما بينهم وبين غيرهم من الدول، فيهابنا الأعداء ويحترمنا الأصدقاء، سبب في تفرقنا وتشرذمنا وضعف حالنا وتخاذلنا بين الدول، وكان هذا أيضاً سبباً في تداعي الأمم علينا كما تتداعى الأكلة إلى القصعة، فعن ثوبان قال رسول الله ﷺ: "يوشك الأمم أن تداعى عليكم كما تداعى الأكلة إلى قصعتها؛ فقال قائل: ومن قلة نحن يومئذ، قال: بل أنتم يومئذ كثير، ولكنكم غثاء كغثاء السيل، ولينزعن الله من صدور عدوكم المهابة منكم، وليقذفن الله في قلوبكم الوهن، فقال قائل: يا رسول الله، وما الوهن؟ قال: حب الدنيا وكراهية الموت". فبعد انهيار الشيوعية شهد العالم توحد وتقارب نظم الكفر، و وقوف أعدائنا وأعداء ديننا كلهم في خندق واحد، فلم نعد نستغل خلافاتهم وتعارض أطماعهم

في أن نتأرجح بين روسيا الشيوعية تارة؛ وأمريكا الصليبية تارة أخرى طالبين المعونة والحماية، مما كان السبب في تعرض الكثير من المسلمين للاضطهاد بسبب إسلامهم؛ والكثير من المؤمنين للتعذيب بسبب تدينهم، في كثير من دول العالم، ولا نبالغ إذا قلنا إن غياب الخلافة الإسلامية هو السبب الأعظم لمشاكلنا الدولية والمحلية، والتاريخ الإسلامي خير شاهد على ذلك.

وكما كان البعد عن شرع الله سبباً للعداوة والبغضاء بين الناس، فإن التقرب من الله ﷻ سببٌ لإلقاء الحب في قلوب الناس، قال عليه الصلاة والسلام: "قال الله تعالى: لا يزال العبد يتقرب إلي بالنوافل؛ حتى أحبه، فإذا أحببته كنت سمعه الذي يسمع به؛ وبصره الذي يبصر به" (أخرجه البخاري من حديث أبي هريرة)، ويثمر حب الله للعبد حب الناس له أيضاً، عن أبي هريرة ﷺ عن النبي الكريم ﷺ قال: "إذا أحب الله العبد نادى جبريل أن الله يحب فلاناً؛ فأحبه فيحبه جبريل، فينادي جبريل في أهل السماء: إن الله يحب فلاناً؛ فأحبوه فيحبه أهل السماء، ثم يوضع له القبول في الأرض"، ومعنى يوضع له القبول في الأرض أي يلقي الحب في قلوب الناس له ورضاهم عنه؛ فتميل إليه القلوب وترضى عنه ... (٣)، وقال تعالى في سورة مريم، الآية/٩٦: ﴿ إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ * سَيَجْعَلُ لَهُمُ الرَّحْمَنُ وُدًّا ﴾ أي حباً في قلوب عباده، وعن ابن عباس قال: قال رسول الله عليه الصلاة والسلام: "إن الله أعطى المؤمن الألفة والملاحة والمحبة في صدور الصالحين؛ والملائكة المقربين، ثم تلا الآية السابقة"، وكان هرم بن حيان يقول: ما أقبل أحد بقلبه على الله تعالى إلا أقبل الله تعالى بقلوب أهل الإيمان إليه؛ حتى يرزقه مودتهم ورحمتهم ... (٤)، ومن النعم التي أنعم الله تعالى بها على

عباده المؤمنين من ضمن نعمه التي لا تعد ولا تحصى ، نعمة التآلف بين قلوبهم ، قال تعالى في سورة آل عمران ، الآية/١٠٣ : ﴿ وَاذْكُرُوا نِعْمَةَ اللهِ عَلَيْكُمْ * إِذْ كُنْتُمْ أَعْدَاءً * فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ ﴾ ، وهذه النعمة لا تقدر قيمتها بمال ، فالتآلف بين القلوب يعادل بل يفوق كنوز الأرض جميعاً ؛ هكذا تشير الآية الكريمة في قوله تعالى : ﴿ لَوْ أَنْفَقْتَ مَا فِي الأَرْضِ جَمِيعاً * مَّا أَلَّفْتَ بَيْنَ قُلُوبِهِمْ * وَ لَكِنَّ اللهَ أَلَّفَ بَيْنَهُمْ ﴾ (الأنفال/٦٣) ، ونلاحظ هنا أنه ذكرها بأسلوب النفي لا الإثبات ؛ فلو قال : "لو أنفقت ما في الأرض لألفت بين قلوبهم" لكان معنى ذلك أن هذه الأخوة ، وهذا التآلف يعادل كل كنوز الأرض ، ولكنه قال : (ما ألفت) بالنفي ليبين لنا أنها أثمن من كل كنوز الأرض ... (٥) .

ولبيان أهمية الحب والألفة والتي قد تسبق أهمية الغذاء والرزق كانت دعوة سيدنا إبراهيم ، كما جاءت في قول الله تعالى في سورة إبراهيم ، الآية/٣٧ : ﴿ رَبَّنَا إِنِّيْ أَسْكَنْتُ مِنْ ذُرِّيَّتِيْ بِوَادٍ غَيْرِ ذِيْ زَرْعٍ عِنْدَ بَيْتِكَ الْمُحَرَّمْ * رَبَّنَا لِيُقِيْمُوا الصَّلاَةَ * فَاجْعَلْ أَفْئِدَةً مِّنَ النَّاسِ تَهْوِيْ إِلَيْهِمْ * وَارْزُقْهُمْ مِّنَ الثَّمَرَاتِ * لَعَلَّهُمْ يَشْكُرُونَ ﴾ كما تدلنا الآيات الكريمة على أن ندعو المولى ﷻ ألا يجعل في قلوبنا غلاً للذين آمنوا ، قال تعالى في سورة الحشر ، الآية/١٠ : ﴿ رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا * وَلإِخْوَانِنَا * الَّذِيْنَ سَبَقُونَا بِالإِيْمَانِ * وَلاَ تَجْعَلْ فِي قُلُوبِنَا غِلاً لِّلَّذِيْنَ آمَنُوا * رَبَّنَا * إِنَّكَ رَؤُوْفٌ رَّحِيْمٌ ﴾ ، وقال عليه الصلاة والسلام مبيناً علاقة الحب بالإيمان : " لن تدخلوا الجنة ؛ حتى تؤمنوا ، ولن تؤمنوا ؛ حتى تحابوا" فإذا استقر الإيمان في القلب أثمر إخاء ؛ وحباً لكل المؤمنين ، ولذلك قال تعالى في سورة الحجرات ، الآية/١٠ : ﴿ إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ * إِخْوَةٌ ﴾ ومعناها ما المؤمن إلا أخ للمؤمن ، فقد قصر

المؤمنون على هذه الأخوة ، من باب قصر الموصوف على الصفة ، كما إذا قلت ما محمد إلا عالم فقد اعتبرت الصفات الأخرى بالنسبة لمحمد ، وكأنها لا شئ بجانب صفة العلم فيه ، فقصرته عليه ، ومثل هذا ما نجده في الآية السابقة ، فمع أن المؤمنين لهم كثير من الصفات العظيمة والسمات الرائعة ، إلا أن الأخوة هي أبرز معالم حياتهم ، وهي العلم الخفاق المرفرف في أفق حياتهم وبدونها يفقدون أهم طابع يميزهم عن غيرهم وأعظم مظهر للإيمان في دنياهم ... (٦) ، وحب المسلم لأخيه المسلم درجات ومراتب أدناها أن تحب لأخيك ما تحبه لنفسك ، وإن لم تتوفر هذه الدرجة لم يكتمل الإيمان ، عن أنس عن النبي الكريم ﷺ قال : "لا يؤمن أحدكم ؛ حتى يحب لأخيه ما يحب لنفسه" ، والمراد بالنفي كمال الإيمان ... (٧) ، وأعلى درجاته الإيثار وعليه قامت ونشأت وترعرعت الدولة الإسلامية ، ونحن في أشد الحاجة إلى هذا الخلق في عصرنا هذا لنجتاز به عثراتنا ومشاكلنا ، ولا بديل عنه لنخرج به من أزماتنا ، فهل هناك أصعب وأشد وأشق على النفس ، من أن تتنازل عن شطر ما تملك بل كل ما تملك ، وتذهب إلى أكثر من ذلك أن تعرض زوجاتك ، ليختار أخوك المسلم من يشاء منهن ليتزوجها بعد وفاء عدتها ، والتاريخ الإسلامي يحكي لنا أن مثل هذه الأمور حدثت ، وكثر منها طواعية وعن طيب خاطر ونفس راضية ، فها هم المهاجرون من مكة تاركين أموالهم وديارهم يخرجون صفر اليدين فراراً بدينهم ويستقبلهم الأنصار من أهل المدينة بصدور رحبة ، ويتهافتون عليهم تهافت الظمآن على الشراب البارد ، ويتنافسون عليهم ، كل منهم يريد أن يحظى بواحد منهم في داره ، فلا يرضيهم إلا القرعة ، ثم يؤاخي الرسول بينهم مؤاخاة قامت أخوة النسب والدم ، وذابت الفروق الإقليمية والنسبية ؛ كما امحت الفوارق الطبقية

والمهنية، ويحكي لنا عبد الرحمن بن عوف المهاجر القرشي ما حدث له قائلاً: لما قدمنا المدينة آخي رسول الله ﷺ، بيني وبين سعد بن الربيع الأنصاري الخزرجي، فقال سعد لي: إني من أكثر الأنصار مالاً، فأقسم لك نصف مالي، وانظر أي زوجتي هويت نزلت لك عنها، فإذا حلت تزوجتها، وقابل عبد الرحمن هذا الإيثار الكريم من سعد بعفاف كريم منه؛ فقال: بارك الله لك في أهلك ومالك، دلوني على السوق ... (٨)، انظر: كيف أن حب الأنصار لمن هاجر إليهم من المهاجرين جعلهم يقدمون كل غال ونفيس في سبيل إخوانهم المهاجرين؛ حتى قال المهاجرون في الحديث الذي رواه الإمام أحمد عن أنس ﷺ؛ يا رسول الله! ما رأينا مثل قوم قدمنا عليهم أحسن مواساة في قليل، ولا أحسن بذلاً في كثير، لقد كفونا المؤنة أشركونا في المهنأ؛ حتى لقد خشينا أن يذهبوا بالأجر كله، قال عليه الصلاة والسلام تطييباً لخاطرهم: "لا ما أثنيتم عليهم؛ ودعوتم الله لهم" ... (٩)، والدولة الإسلامية وحدها دون سواها من الدول إلى يومنا هذا في عرض التاريخ وطوله القديم والحديث؛ هي الدولة الوحيدة التي قامت على حب كل فرد لسائر أفرادها وحبهم لبعضهم، فهذا هو حويطب ابن عبد العزى يقول لمكرز بن حفص: ما رأيت قوماً قط أشد حباً لمن دخل معهم من أصحاب محمد لمحمد، ولبعضهم البعض، ولأهمية خلق الإيثار هذا، وهو الناتج عن الألفة والمحبة، ولعظمته، فقد سجله القرآن الكريم ليكون عبرة لمن يعتبر، وتتلقنه الأجيال المسلمة وتتناقله، وليتزودوا به أمام ما يواجههم من مشاكل وصعوبات، قال تعالى في سورة الحشر، الآية/٩: ﴿ وَالَّذِينَ تَبَوَّءُوا الدَّارَ وَالإِيمَانَ مِن قَبْلِهِمْ * يُحِبُّونَ مَنْ هَاجَرَ إِلَيْهِمْ * وَلاَ يَجِدُونَ فِي صُدُورِهِمْ حَاجَةً مِّمَّا أُوتُوا * وَيُؤْثِرُونَ عَلَى أَنفُسِهِمْ * وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ ﴾، ويعتبر

غرس الألفة والمودة بين الإنسان وأخيه الإنسان مقصداً أساسياً من مقاصد التشريع الإسلامي، ومن المبادئ الأساسية التي عمل الإسلام على إقامتها في المجتمعات، لما له من أكبر الأثر في سلوك الأفراد، وتوجه المجتمعات، كما أن الوحدة بين الدول لا يمكن أن تتم بغير عامل التآخي والتآلف والمحبة المتبادلة، والتآخي لابد أن يكون مسبوقاً بعقيدة صافية يتم اللقاء عليها، والإيمان بها، فالتآخي بين شخصين يؤمن كل منهما بفكرة أو عقيدة مخالفة للأخرى خرافة و وهم خصوصاً إذا كانت تلك الفكرة أو العقيدة تحمل صاحبها على سلوك معين في الحياة العملية، والتآلف بين الدول لابد أن يسبقه ويدعمه التآلف بين أبناء الدولة الواحدة، فالمؤمن كما قال عليه الصلاة والسلام: "المؤمن آلف مألوف، و لا خير فيمن لا يألف و لا يؤلف" ... (١٠).

وإذا كنا ما نواجهه اليوم من مشاكل وأزمات لا يقدر بشئ أمام ما واجهه المسلمون الأوائل، إلا أننا في أشد الحاجة إلى هذا الحب وهذه الألفة، وليس أمامنا من طريق إلا أن نعود إلى ديننا الحنيف، ونقتفي آثار السلف الصالح، ونسير على دربهم، فيمنّ الله علينا كما منّ عليهم بنعمة التآلف والحب، فينصلح حال الآباء والأبناء، والأسرة والمجتمع، والأفراد والجماعات، والرؤساء والمرؤوسين، والحكام والمحكومين، فلا نجد فقيراً يحقد على غني، ولا غنياً يبخل على فقير، ولا مسلماً يضن بمناصرته ومؤازرته على أخيه المسلم، وكل مسلم يؤثر أخاه المسلم على نفسه، ولو كان به خصاصة، وتدلنا الآية الكريمة على الوسيلة التي تذيب الخلافات، وما تتركه من آثار في نفوسنا، قال تعالى: ﴿ وَلاَ تَسْتَوِي الْحَسَنَةُ * وَلاَ السَّيِّئَةُ * ادْفَعْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ * فَإِذَا الَّذِي بَيْنَكَ وَبَيْنَهُ عَدَاوَةٌ * كَأَنَّهُ وَلِيٌّ حَمِيمٌ ﴾

(فصلت/٣٤) أي من أساء إليك فادفعه عنك بالإحسان إليه ، كما قال عمر ﷺ : ما عاقبت من عصى الله فيك بمثل أن تطيع الله فيه ، فإذا أحسنت إلى من أساء إليك قادته تلك الحسنة إليه إلى مصافاتك ومحبتك والحنو عليك ؛ حتى يصير كأنه ولي لك حميم ؛ أي قريب إليك من الشفقة عليك والإحسان إليك ... (١١) غير أن هذه السماحة تحتاج إلى قلب كبير يعطف ويسامح ، وهو قادر على الإساءة والرد ، وهذه القدرة ضرورية لتؤتي السماحة أثرها ، حتى لا يصور الإحسان في نفس المسيء ضعفاً ، ولئن أحسَّ أنه ضعف لم يحترمه ، ولم يكن للحسنة أثرها إطلاقاً ، وهذه السماحة قاصرة على حالات الإساءة الشخصية ، لا العدوان على العقيدة وفتنة المؤمنين عنها ، فأما في هذا فهو الدفع والمقاومة بكل صورة من صورها أو الصبر حتى يقضي الله أمراً كان مفعولاً ... (١٢) .

(١) ظلال القرآن ؛ سيد قطب : ج/٣ ، ص/٨٦٠ .

(٢) الجامع لأحكام القرآن ؛ لأبي عبد الله محمد بن أحمد الأنصاري القرطبي : ج/٦ ، ص/٢٤٠ ، وظلال القرآن ؛ سيد قطب : ج/٣ ، ص/٩٢٩-٩٣٠ .

(٣) الأحاديث القدسية ؛ مكتبة الثقافة الدينية : ج/١ ، ص/٨٠ .

(٤) الجامع لأحكام القرآن ؛ للقرطبي : ج/١١، ص/١٦٠-١٦١ .

(٥) كتاب المجتمع الإسلامي ؛ كيف يبعث من جديد ؛ محمود أحمد حماد : ص/٢٧ .

(٦) المسلم في عالم اليوم ؛ د/عبد الفتاح عاشور : ج/١ ، ص/٢٥ .

(٧) فتح الباري بشرح صحيح البخاري ؛ ابن حجر العسقلاني : ج/١، ص/٧٣ .

(٨) الإيمان والحياة ؛ د/يوسف القرضاوي : ص/١٨٦-١٨٧ .

(٩) المسلم في عالم اليوم ؛ د/عبد الفتاح عاشور : ج/١ ، ص/٢٦ .

(١٠) إحياء علوم الدين ؛ أبي حامد الغزالي : ج/٢ ، ص/١٤٤ .

(١١) تفسير القرآن العظيم ؛ لابن كثير : ج/٤ ، ص/١٠١ .

(١٢) في ظلال القرآن ؛ سيد قطب : ج/٥ ، ص/٣١٢٢ .

لفتة للإمام والمؤذن

بقلم : فضيلة الأستاذ الشيخ علي بن عبد الله بن الشبل
(المدرس بجامعة الإمام - بالرياض)

بسم الله ؛ والحمد لله ؛ وصلى الله وسلم على رسوله وآله ومن والاه ، وبعد :

فهذه همسة إلى أصحاب الفضيلة : أئمة المساجد ومؤذنيها ، حداها لهم حب النصح وجلالة المهمة ؛ إذ بهم قيام فريضة من أهم فرائض الدين ، وعليهم سداد وكمال فرض الصلاة التي تكرر على المسلمين خمس مرات في يومهم وليلتهم ، فأعانهم مولاهم على ما أنيطوا فيه من الواجب و وفقهم إلى لزوم السنة ، وحاذرهم البدعة والهوى ، وغفر لهم ولوالدينا ومشايخنا والمسلمين أجمعين ؛ آمين ، واختصرتها لذيوعها والإفادة منها .

• أهمية الإمامة وفضلها :

وهي الإمامة الصغرى بإمامة المسلمين في الصلاة ، والتي يقتدي المصلون بالإمام في صلواتهم المفروضة والمستحبة : كالكسوف والخسوف والاستسقاء ..

والتي لو لم يكن فيها من الأهمية والفضل إلا تولّي النبي الكريم ﷺ لها ، ولم يتخلف عنها إلا لعذر .

= كيف ومنها أن المؤمنين يقتدون بهم في أدائهم فرائضهم في أهم فريضة من فرائض الإسلام .

= ومنها أن لهم مثل أجر مأموميهم ، لأن الدال على الخير

كفاعله .

● ملاحظات وتوجيهات :

١- ينبغي أن يختار للإمامة الأحفظُ الأفقهُ الأعلم بالسنة ، فهذه معايير المفاضلة والموازنة بين الأئمة ؛ لحديث ابن مسعود ﷺ يرفعه : "يؤم القوم أقرؤهم لكتاب الله ، فإن كانوا في القراءة سواءً فأعلمهم بالسنة ، فإن كانوا في السنة سواءً فأقدمهم هجرة ، فإن كانوا في الهجرة سواءً فأقدمهم سلماً ، وفي رواية ؛ سناً : ولا يؤمنّ الرجلُ ؛ الرجلَ في سلطان (رواه مسلم) ، و لحديث عمرو بن سلمة قال : قال أبي : جئتكم من عند النبي الكريم ﷺ حقاً ؛ فقال : "إذا حضرت الصلاة ؛ فليؤذن أحدكم ، وليؤمكم أكثركم قرآناً" ، قال : فنظروا فلم يكن أحد أكثر مني قرآناً ، فقدموني وأنا ابن ست أو سبع سنين (رواه البخاري) ، فليس المعيار حسن الصوت ، وجماله ، بل يكفى إقامة التلاوة على قواعدها ، مع مراعاة جانب التقى والديانة ، ويجب أن يُبعد عنها الفاسق والفاجر في الأفعال والاعتقاد ، ولا تصح في قول المحققين إمامتهم .

٢- كما يجب على الأئمة المحافظة والمواظبة على إمامتهم ؛ واعتبار ذلك أمانة ملقاة عليهم ، فلا يتساهلون في التخلف عن جماعتهم ، وإن احتاجوا لذلك أقاموا من ينيبونهم عنهم ممن هم أهل للإنابة ، لا سيما وقد نص الفقهاء على أنه : "يحرم أن يُؤم في مسجد قبل إمام الراتب إلا بإذنه أو عذره" ، فلا يجوز الافتيات عليهم والحالة هذه !

٣- وأيضاً يجب على الأئمة مراعاة أحوال جماعاتهم من عدم الإضرار بهم من التطويل ، والمشقة عليهم بذلك لما في الصحيحين عن أبي هريرة مرفوعاً : "إذا أمّ أحدكم الناس فليخفف ، فإن فيهم

الصغير والكبير ، والضعيف، وذا الحاجة ، فإذا صلى وحده فليصل كيف شاء" .

= وفي حديث جابر بن عبد الله أن معاذاً ، رضي الله عن الجميع ، صلّى بأصحابه العشاء فطول عليهم ، فقال النبي الكريم ﷺ ؛ وهو غاضب : "أتريد أن تكون يا معاذ فتاناً ؟ إذا أممت فاقرأ بالشمس وضحاها ، و ؛ سبح اسم ربك الأعلى ، و ؛ اقرأ باسم ربك ، والليل إذا يغشى" (متفق عليه ؛ واللفظ لمسلم) .

هذا وإنك لترى تهاوناً في التزام السنة في القراءة عند جمع من الأئمة ، حيث تطرد قراءاتهم في الصلاة من أواسط السور الطوال ؛ أو أواخرها ؛ أو أوائلها ، حتى في صلاة المغرب ! مع أن الغالب على سنته ﷺ إكمال السور ، في القراءة ، ولذا يقول شيخ الإسلام : "وينبغي أن يفعل غالباً ما كان النبي الكريم ﷺ يفعله غالباً ، ويزيد وينقص للمصلحة" ، وما كان يفعله النبي الكريم ﷺ غالباً هو :

١- في الفجر من طوال المفصل ؛ وهو من (ق ؛ إلى المرسلات) ، وربما قرأ من قصاره لعذر كمرض وسفر ، وفي الجمعة (ألم السجدة و ؛ الإنسان) .

٢- في الظهر والعصر والعشاء ، من أواسط المفصل ، وهو من (عمّ إلى الضحى) وربما قرأ من قصاره .

٣- في المغرب من قصار المفصل ، وقد قرأ فيه بالأعراف كاملة والمرسلات والطور والدخان .

٤- وفي صلاة الجمعة (الأعلى والغاشية) أو (الجمعة والمنافقون) أو (الجمعة والغاشية) رواها مسلم .

٥- وفي صلاة العيدين (الأعلى والغاشية) ولو اجتمع مع الجمعة في يوم واحد (رواه مسلم عن النعمان بن بشير ﷺ) .

٦- وفي صلاة الكسوف والخسوف يطيل القراءة في القيام.

وفي سنته الغالبة في الجميع تطويل الركعة الأولى على الثانية.

وليحذر أصحاب الفضيلة في قراءاتهم وتكبيراتهم قصر الممدود ومدّ المقصور بما يحيل معناه أو يغيره لما يترتب عليه من نقص الصلاة أو فسادها!

٤- وينبغي على الخطباء في الجمع وغيرها تقصير الخطبة وتطويل الصلاة، باختصار الكلام والاكتفاء منه بجوامعه لئلا يُنسي آخر الخطبة أولها بتطويلها، لما رواه مسلم وغيره عن عمار أن ياسر رضي الله عنهما، أنه خطب فأوجز وأبلغ؛ فلما ترك قيل له: لقد أبلغت وأوجزت، فلو كنت أطلت، فقال: إني سمعت رسول الله ﷺ يقول: إن طول صلاة الرجل وقصر خطبته مئنة من فقهه، فأطيلوا الصلاة واقصروا الخطبة، وإن من البيان لسحراً".

وليعتن الخطباء بما يحتاجه الناس، وما يجهلونه من أمور دينهم ومآلهم، فإن التعليم بالخطب من أنفع الوسائل وأجداها، لفرضية الجمعة على الأعيان، فعن أم هشام الأنصارية رضي الله عنها قالت: "ما أخذت سورة (ق والقرآن المجيد) إلا عن رسول الله ﷺ يقرؤها كل جمعة على المنبر إذا خطب الناس" (رواه مسلم).

٥- كما ينبغي على أصحاب الفضيلة أئمة المساجد تخول جماعاتهم بالمواعظ، وإسماعهم القرآن الكريم؛ وحديث النبي الكريم ﷺ، وما جعل قراءة في ذلك عقب صلاة العصر، وبين الأذانين في صلاة العشاء إلا من السنن المحمودة، والعوائد النافعة، وإن تقاصرت في هذه الأزمان عند البعض، ولا حول ولا قوة إلا بالله.

فليحرص الأئمة على إحياء هذه السنة وانتخاب المتون والكتب النافعة في التفسير والحديث، والعقيدة والسيرة والفقه

لقراءتها على جماعتهم، و توضيح غامضها لهم، و إبراز معاني العقيدة، وتزكية قلوبهم وأعمالهم، ففي ذلك بإذن الله النفع العميم والعظيم.

٦- وفي رمضان يتوجب على الأئمة مراعاة السنن النبوية في قيام الليل والقنوت في الوتر، ومحاذرة البدع والمحدثات في ذلك وفي غيره، مع استصحاب الرفق بالناس والإحسان إليهم، ويتأتى لهم ذلك بمراجعة سنته ﷺ في قيام الليل وصلاته بالناس في الليالي الثلاث في رمضان، ومساءلة العلماء فيما يشكل عليهم في ذلك فهماً أو عملاً أو تطبيقاً.

٧- وينتظر من الأئمة تعليم الناس السنن والآداب، ومن ذلك الأذكار عقب الصلوات ففي الصحيحين عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: كان رفع الصوت بالذكر عقب الصلاة على عهد النبي الكريم ﷺ، وكان رسول الله ﷺ إذا سلم من الصلاة قال: أستغفر الله ثلاثاً، اللهم أنت السلام و منك السلام تباركت يا ذا الجلال والإكرام، ثم ينصرف إلى الناس، رواه مسلم يقولها جاهراً بها.

• أهمية الأذان وفضله:

فهو شعيرة الإسلام وشعاره، وهو فرض كفائي على الرجال المقيمين لحديث مالك بن الحويرث يرفعه: "إذا حضرت الصلاة فليؤذن لكم أحدكم وليؤمكم أكبركم" (رواه الجماعة)، ولحديث أبي الدرداء يرفعه: "ما من ثلاثة لا يؤذنون ولا تقام فيهم الصلاة إلا استحوذ عليهم الشيطان؛ فعليك بالجماعة، فإنما يأكل الذئب من الغنم القاصية" (رواه احمد وبعض اهل السنة)، ولذا نصّ الفقهاء على أن تقاتل أهل بلد تركوه مع الإقامة لما في البخاري أن النبي الكريم ﷺ: "إذا غزا قوماً يصبح وينظر، فإن سمع أذاناً كف، وإن لم يسمع أذاناً

أغار عليهم" (ورواه مسلم أيضاً) .

= وأما فضله فمع ما سبق ما في مسلم عن معاوية يرفعه : "إن المؤذنين أطول الناس أعناقاً يوم القيامة" ، وللبخاري عن أبي سعيد ﷺ مرفوعاً : "لا يسمع مدى صوت المؤذن جن ولا إنس ولا شئ إلا شهد له يوم القيامة" ، وفي الصحيحين عن أبي هريرة عن النبي الكريم ﷺ : "ولو يعلم الناس ما في النداء والصف الأول ، ثم لم يجدوا إلا أن يستهموا عليه لاستهموا ، كما صحّ أن الشيطان يهرب من الأذان وله ضراط .

وفي حديث عقبة بن عامر عن النبي الكريم ﷺ : "يعجب ربك ﷻ من راعي غنم في شظية بجبل يؤذن للصلاة ويصلي ، فيقول الله ﷻ : انظروا لعبدي هذا يؤذن ، ويقيم للصلاة يخاف مني ، فقد غفرت لعبدي وأدخلته الجنة (رواه أحمد وأبو داؤد والنسائي بإسناد جيد) .

والنصوص في الباب عديدة ، حتى قال شيخ الإسلام ، لو لم يكن النبي الكريم ﷺ إماماً لقلنا التأذين أفضل ، والأذان مشروع بالكتاب الكريم ؛ والسنة النبوية الشريفة ؛ وإجماع المسلمين .

ففي كلام الله القرآن ؛ يقول ﷻ في سورة الجمعة : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِيْنَ آمَنُوا ! إِذَا نُودِيَ لِلصَّلَاةِ مِنْ يَوْمِ الْجُمُعَةِ * فَاسْعَوا إِلَى ذِكْرِ اللهِ * وَذَرُوا الْبَيْعَ ﴾ ، ويقول سبحانه : ﴿ وَإِذَا نَادَيْتُمْ إِلَى الصَّلَاةِ اتَّخَذُوْهَا هُزُواً وَلَعِباً ﴾ ، وقوله ﷻ : ﴿ وَمَنْ أَحْسَنُ قَولاً مِّمَّنْ دَعَا إِلَى اللهِ * وَعَمِلَ صَالِحاً ﴾ نزلت في المنافقين لما استهزؤا بالمؤذنين.

وقد دلت السنة الصحيحة على مشروعيته ، والمداومة عليه ، ففي السنن : حدث عبد الله بن زيد بن عبد قال ؛ طاف بي رجل وأنا نائم ؛ قال تقول : الله أكبر الله أكبر ؛ الله أكبر ... فذكر الأذان بتربيع التكبير بغير ترجيع ، والإقامة فرادى ، إلا : قد قامت الصلاة ، قال :

فلما أصبحت آتيت رسول الله ﷺ فقال : إنها لرؤيا حق ، رواه أحمد وأبو داؤد وصححه ابن خزيمة والزبير ، ولأبي داؤد في سننه أنه رأى رجلاً يحمل ناقوساً في يده ؛ فقال : يا عبد الله ! أتبيع الناقوس ، قال : وما تصنع به ؟ قلت : ندعو به إلى الصلاة ، قال : أفلا أدلك على ما هو خير من ذلك ؟ قلت : بلى ، فعلمه الأذان .

لما سمع عمر بن الخطاب ﷺ الأذان من بلال ؛ حيث علمه إياه عبد الله بن زيد ؛ جاء إلى رسول الله ﷺ ؛ و قال : يا رسول الله ! أنا رأيت مثله .

وفيه أن الناقوس وضربه شعار لا يليق بالمسلمين ، بل هو شعار بعض أهل الملل قبلنا ؛ كما هو الحال عند النصارى تحريفاً وتبديلاً .

وأما الإجماع فقد أجمع المسلمون على أن الأذان شعار الإسلام وعلامته الظاهرة ، إنه فرض على الكفاية ، يأثمون جميعاً بتركه.

وهذا الأذان فيه لمن تأمل ألفاظه و جمله و كلماته ، معان عظيمة ، فيه الإعلام بالتوحيد لله ﷻ بالوحدانية شهادة وخبراً ولمحمد ﷺ بالرسالة ، في بدء الأذان وختمه .

ومؤذنو رسول الله ﷺ أشهرهم بلال بن رباح ؛ فهو المؤذن حضراً وسفراً ، ثم ابن أم مكتوم ، وأبي محذورة في مكة .

ومن أهمية الأذان أنه مشروع حتى لقضاء الفائتة ولو بعد انقضاء الجماعة لها بالمسجد ، فيشرع قبل قضاء الفائتة ، ولو بعد وقتها : الأذان والإقامة ، حيث لما كان وقت الفجر ، رجوع النبي الكريم ﷺ من غزوة خيبر ارتحلوا من منزلهم ثم نزلوا فأمر بلالاً ، أن يؤذن وأمره بالإقامة ؛ فصلوا ، فدل على مشروعية الأذان قبل الصلاة المفروضة مطلقاً .

● أحكام وتوجيهات في الأذان :

١- الأذان مشروع للصلوات الخمس والجمع فقط ، فلا يُشرع الأذان للعيدين ؛ أو الجنازة ؛ أو الاستسقاء ، أما الكسوف والخسوف فينادى لها : الصلاة جامعة .

٢- يجب أن يكون المؤذن صيّتاً نديّاً لقول النبي الكريم ﷺ لعبد الله بن زيد بن عبد ربه : "قم مع بلال فألق عليه ما رأيت فإنه أندى منك صوتاً" (رواه أحمد وأبو داؤد والترمذي وابن خزيمة وصححاه) .

٣- كما يجب أن يكون المؤذن أميناً موثوقاً ؛ فلا يتولاه الفساق ، عالماً بالوقت عند دخوله ؛ لما روى البيهقي عند أبي محذورة عن أبيه عن جده عن النبي الكريم ﷺ : "أمناء الناس على صلاتهم وسحورهم المؤذنون" ، ولقوله : "الإمام ضامن والمؤذن مؤتمن ، اللهم أرشد الأئمة واغفر للمؤذنين" (رواه أحمد وأبو داؤد والترمذي والبيهقي وغيرهم وصححه الضياء في المختارة) .

وعليه فيجب على المؤذنين الحرص في ذلك ، وتحري الأذان عند دخول الوقت لترتب فريضتي الصلاة والصيام على أذانهم ، ولايتهاونون بذلك فيتذمموا ويتأثّموا بعباد الله !

٤- كما ينبغي عليهم تحري السنة القولية والفعلية في صفتي الأذان والإقامة ، وعدم الإغراب على الناس بصيغ للأذان لا يعرفونها ، ولو كانت ثابتة ، ويتمهل في الأذان ، ويسرع في الإقامة ، ولا يبالغ بتلحينهما تطريباً ومداً يخرجان عن المقصود .

٥- ويستحب أن يكون المؤذن على طهارة ، مستقبل القبلة ، يلتفت في الحيعلة يمنة ويسرة ، ويُثوِّب في أذان الفجر الثاني قائلاً بعد الحيعلة : الصلاة خير من النوم ، مرتين .

٦- ويجوز أن يؤذن المؤذن ويقيم غيره ، وحديث : "من أذن

فهو يقيم" ، و "لا يؤذن إلا متوضئ" ضعيفان ؛ كما يصح الأذان من الصبي المميز ، وغير المتوضئ ، والأعمى ، لا المرأة .

٧- ولا يقصد المؤذن الراتب على أذان ، بل يستعين به ، لحديث عثمان بن أبي العاص عن النبي الكريم ﷺ : "واتخذ مؤذناً لا يأخذ على أذان أجراً" (رواه الخمسة وحسّن الترمذي) ، وقال : العمل عليه عند أهل العلم .

٨- ويبطل الأذان بالابتداع فيه كفعل الروافض ، أو الأذان قبل الوقت إلا الفجر ، أو الفصل الطويل بين جمله ، أو الفصل اليسير بكلام حرام كالسب والقذف ونحوه .

٩- ويستحب أن يقول السامع كالمؤذن ، ثم يدعوان بالدعاء المعروف : اللهم ربّ هذه الدعوة التامة ... إلخ ، ويستحب أن يُصلى على الرسول الأعظم ﷺ الصلاة الإبراهيمية ، لكن لا تُربط بالأذان فتكون عقبه بمكبر الصوت أو بصوت جماعي ، أو قبل الأذان يصلى على رسوله بمكبر الصوت أو على المنارة .

ولا أعلم أصلاً لقولهم بعد الأذان مباشرة : دائماً وأبداً لا إله إلا الله ... وبعد الإقامة : أقامها الله وأدامها .

١٠- ويستحب الدعاء بين الأذان والإقامة ، لأنه من مواطن الإجابة ، كما يحرم الخروج من المسجد على من وجهت عليه الصلاة بعد الأذان بلا عذر للنهي الوارد في ذلك .

وفق الله الجميع للعلم النافع والعمل الصالح ، والتمسك بالسنة والموت عليها ، ومحاذرة البدع وأسبابها .

****

صياغة المفردات في العربية والإنجليزية

بقلم : البروفيسور معين الدين الأعظمي الندوي

قبل التطرق إلى طرق صياغة الألفاظ والمصطلحات في العربية يحسن بنا أن نعرف ولو بإيجاز عن مدى تقدم العرب ونهضتهم في الميادين الحضارية واللسانية وخصائص لغتهم .

يقول الدكتور عبد الواحد الوافي في كتابه : "فقه اللغة ص/٩٣" مستعرضاً حياة العرب : "إنه لم يكن للعرب معرفة بالميادين التالية : الاقتصاد ؛ الصناعة ؛ الزراعة ؛ التجارة ؛ العلوم الفلسفية والآداب".

ومعنى ذلك أنه لم تكن توجد لتلك الحقول بيئة ومناخ صالح أو أنها لم تكن توجد بوفرة وأنواع متنوعة ، ولم تكن هناك تجربة ، وخبرة لازمة ، واهتمام لائق بالفنون والدقة والبراعة فيها .

ويقول الأستاذ جرجي زيدان في تاريخ آداب اللغة العربية (ج/١،ص/١٩) : "إنه لم يكن للعرب معرفة في أسماء العقاقير والآداب والمصنوعات والمعادن ، وأن العرب قد أخذوا عن الهنود كثيراً من المصطلحات التجارية ، وأسماء السفن وأدواتها" ، ونجد خلال دراسة ظروف وبيئة وأحوال العرب الحضارية : أنهم كانوا يميلون إلى البساطة والسطحية ، وعدم التفكير العميق ، فنلاحظ أنهم لم يهتموا بالعلوم مثل الطبيعيات والكيمياء والفلكيات والطب والهندسة والنباتيات ، بل كانوا يهتمون بتربية الإبل والمواشي ، وتخوّض في

الحرب لأتفه الأسباب ، وإنها قد تمتد إلى أربعين عاماً بدلاً من أسبوع أو أسبوعين .

ويقول الأستاذ هامر (HAMMER) أنه يوجد للإبل وشئونه أكثر من : (خمسة آلاف وستمائة وأربعة وأربعين لفظاً) وللسيف ألف اسم على الأقل ، وللثعبان/٤٠٠ ، وللأسد/٦٠٠ ، وللعسل/٨٠ .

ويوجد للمطر والريح والنور والظلام والماء والبئر أسماء كثيرة تصل بين/٢٠ إلى ١/٣٠٠اسم (نفس المصدر : ص/١٦٣) .

فالعربية توجد فيها كلمات وافرة للتعبير عن مثل هذه الأمور، وأنها غنية ومليئة بالألفاظ التي تعبر عن الحياة البدوية ، ولكن في الحياة الحضرية لا تكون لمثل هذه الألفاظ حاجة شديدة بقدر ما تكون للكلمات التي تعبر عن الحياة البدوية .

ولما لم يكن لهم عناية بهذه الأشياء قلت المفردات المتصلة بمظاهر الحياة الحضرية ، ومرافقها أو لواحقها التي لم تكن مألوفة في البيئة العربية الأوائل ، والألفاظ الخاصة بمنتجات الصناعة ، وشئون التفكير الفلسفي ، وما وراء الطبيعة بالنسبة للدول المتمدنة المتقدمة مثل الهند والصين واليونان ، وبعض الدول الأوربية الأخرى .

ولما حدث الاحتكاك المادي والثقافي والسياسي بالشعوب الأخرى ، وما نجم عن هذا الاحتكاك ، أتت كلمات ومفردات فارسية وهندية ويونانية مستحدثة بوفرة يمكن أن نعبر عنه بالغزو اللغوي في العهد العباسي .

وحلت المشكلة إلى حد ما بتأسيس بيت الحكمة للترجمة والتعريب : تعريب الأسماء ؛ مثل : إبريق وتعريب الأفعال باستخدام الفعل من الاسم أي باستعمال الاسم أو الكلمة من باب فعلَلَ ؛ مثل بَلْور ، وزرْكش ، وجورْب ، حسب قواعد النطق العربي ، وترجمة

العلوم الأجنبية ، و وظف فيه المتخصصون في العلوم اللغوية والدينية ، وقد اهتم هذا البيت أو المركز بالاشتقاق والإلحاق والنحت .

وفي العصر الحديث غزا الفرنسيون ؛ ثم الإنجليز مصر ، وبعض الدول العربية الأخرى ، ومن ثم أتت المفردات والمصطلحات الأوربية الحديثة إلى العربية بوفرة ، و واجهت اللغة العربية مرة أخرى الهجوم اللغوي ، وحلت المشكلة بنفس الطريقة التي حلت بها في العصر العباسي إلى حد كبير ، وإن لم يمكن حلها بطريقة كلية ، ولم يكن من المستطاع القضاء على المشكلة قضاءً مبرماً .

وكان هذا الغزو اللغوي جارفاً وشديداً وهائلاً بحيث لم تستطع الطرق المألوفة معالجتها ، وشعر العلماء بأن اللغة العربية لا تستطيع أن تكون صالحة للتعبير عن العلوم الحديثة .

و وجهت إلى اللغة العربية انتقادات مفروضة ، ومدسوسة شديدة غير مبنية على الدراسة الجادة والتقابلية .

وقد وجد بين العرب جماعة من العلماء تأثرت بهذه الانتقادات الركيكة والشنيعة ، وجعلت تدعو إلى اتخاذ اللغة العامية (المليئة بالمفردات الأجنبية) لغة رسمية للبلاد .

وقد انبرى للدفاع عن هذا الاتهام بعض العلماء والباحثين الذين توجد لديهم الغيرة القومية ؛ والحمية الوطنية ؛ ودار نقاش شديد وعنيف ، وكانت هذه المدافعات نابعة من الإحساس القومي والديني والانفعال الوجداني الشديد .

وقد نظّم الشاعر الوطني حافظ إبراهيم قصيدته المعروفة ، "على لسان حال اللغة العربية" في الدفاع عن هذه الاتهامات الواهنة ، ولكن المدافعين لم يبينوا حلاً لغوياً وعلمياً لقلة المفردات والمصطلحات في العربية .

وتقدم الزمن وكشفت الأبحاث أن النقص في المفردات يمكن التغلب عليه باستغلال الصفة الاشتقاقية ؛ والطرق الأخرى لصياغة المفردات بطريقة أشد وأقوى .

وبعد هذا الاستعراض الوجيز لطبيعة اللغة العربية ، وتقدّمها في بعض الميادين ، وتأخرها في بعضها الأخرى نعود لشرح الطرق لصياغة المفردات والمصطلحات في العربية ومقارنتها مع الإنجليزية .

إن صياغة الألفاظ والمصطلحات في كل لغة تلعب دوراً خطيراً ورئيسياً في توليد وتكثير المفردات اللغوية ، ومواجهة الاحتياجات اللغوية والتعبيرية .

وقد اخترعت و وضعت كل لغة أصولاً و وقواعد لصياغة الألفاظ المستجدة ؛ والمصطلحات المبتكرة ؛ وحقاً إن هذه الألفاظ الجديدة سببت في إغناء اللغة ، وجعلها شيقة ومنسجمة وأنيقة ودقيقة في التعبير .

والواقع أن المفردات اللغوية ؛ هي جسم وصورة للغة ، والمفهوم والمعنى ؛ هو روح اللغة وقوتها الداخلية الخفية ، والمعنى تضفي على اللغة والألفاظ الحياة والنشاط والقوة .

وقد وضعت اللغة العربية أيضاً طرقاً لتوليد الكلمات والألفاظ والمصطلحات والتعبيرات التي تساعد في نقل المعاني والمفاهيم بصورة أدق وأروع وأسحر ، إنها سلكت في توليد المفردات والمصطلحات عدة طرق سليمة ، ونلاحظ أنه تنتزع الكلمات الكثيرة في اللغة العربية من فعل واحد بحيث لا نكاد نجد له مثيلاً في أية لغة أخرى ، وقد أودع فيها الله تعالى من قوة النماء والنشاط والحياة ، والتطور الذاتي ، واستيعاب المفاهيم المبتكرة ، والمفردات المتولدة المستحدثة ، وبهذه الصفة الفريدة أنها واجهت وتواجه وقاومت وتقاوم مختلف الظروف منذ آلاف السنين ، وصمدت أمام التيارات

اللغوية المعاكسة المضادة ؛ وخرجت منتصرة .

فاللغة العربية قديمة باعتبار أن الأفعال ومشتقات محدودة منها كلها قديمة ، وأنها حديثة بمعنى أن كمية هائلة من الصفات والأسماء ، والتعبيرات المعاصرة (التي أتت بسبب الترجمة من اللغات الأجنبية ؛ والتي تعبّر عن المعاني الحديثة) قد اشتقت من الأفعال القديمة ، ولا تزال تشتق و أنها توفى و تعبّر الاحتياجات اللغوية الطارئة ، و هذه الطرق هي :

١- أوزان كثيرة لمصادر الفعل الثلاثي :

(ألف) إن لمصادر الأفعال الثلاثية ؛ نحو أربعة وأربعين وزناً :

وكل منها يعطى معنى المصدر ، ولكن بإشارة خاصة إلى مفهوم خاص ، فهذه الأوزان الكثيرة ليست بدون سبب وغرض وفحوى ، وإنما هي لإعطاء مدلول خفي ، ومعنى دقيق رائع ، وإن لحركات الحرفين الأولين التي هي : أ ؛ إ ؛ أ والجزم لها أهمية خاصة ، فتغير الحركات تشير إلى تغير الوزن ، وتغير الوزن إلى تغير المفهوم والمعنى ، فللإيقاع الصوتي دلالة خاصة في تحديد المعنى .

(ب) وأن الأفعال في العربية تقرأ بست طرق ؛ فالأعمال التي تبتدئ بالأعضاء الظاهرة تأتي عامةً من نصر ، ضرب أو فتح ، والأفعال التي تشعر أو تبتدئ بالأعضاء الباطنة أو التي تدل على الجمل الظاهري والباطني والسرور والحزن والامتلاء والخلو واللون تأتي من سمع .

(ج) وأن الأفعال التي تأتي من باب كرُم تشير إلى الطباع الفطرية ، والصفات الدائمة ، فوزن :

فُعالَة : تدل على الشجاعة والنبالة على الطبيعة الفطرية الرائعة .

وفِعالَة : تشير إلى الحرفة والمنصب مثل : صِناعة ؛ وتِجارة ؛ وخِلافة ؛ وسِفارة ؛ وصِحافة .

وفُعل : يشير إلى الأمراض ؛ مثل : سُعال ؛ وزُكام .

وفِعل : يشير إلى كون الشئ صغيراً ؛ مثل : لباسٍ وخلال .

وفَعّال يومئ إلى الحرفة والمهنة ، مثل : بقّال ؛ وسقّاء .

وفِعْلة ؛ للقطع الصغيرة ؛ مثل : فرقة وحصلة وطبقة وحدوث الفعل ؛ مثل : جلسة .

وفُعْلة للمقدار الصغير ، مثل : لقمة وثلمة .

و فَعْلة لحدوث الشئ مرة واحدة ؛ مثل : فتحة واحدة ؛ أو للوحدة : تفاحة وبيضة .

وعلاوة على ذلك تستعمل نفس أوزان المصدر الكثيرة للأسماء من الحيوانات ؛ والطيور ؛ والجمادات ؛ وأجزاء الإنسان مثل :

فَعْل ؛ كَلْب ؛ وفَتْح ؛ ونَصْر .

فَعَل ؛ شَجَر ؛ وحَجَر ؛ وغَضَب ؛ وألَم .

وفعيل كصفة مشبهة ؛ مثل : بديع وجميل .

وفعيل للمبالغة ؛ مثل : سميع ؛ وعليم ؛ وبصير .

ومِفْعلة ؛ مثل : مِكْنسة ؛ ومِرْوحة .

ومَفْعل للزمان والمكان ؛ مثل : مدخل ومعرض .

وكجمع التكسير ؛ مثل :

فِعَل ؛ مثل : فِكَر (فكرة) .

فُعْلة ؛ مثل : غزاة (غُزْوَة) .

وفَعَلَة ؛ مثل : كتبة جمع كاتب .

وفَعْلَى ؛ مثل : جرحى ومرضى ، جريح ومريض .

٢- (ألف) منها أن اللغة العربية لغة اشتقاقية توليدية ؛

فتشقق فيها للثلاثي المزيد فيه ١٢/شكلاً ، وللرباعي ٤/أشكل باستخدام بعض الحروف من عشرة أحرف هي : (ا ت س ل م ن و هـ ا ي) ، وقد جمعت في سألتمونيها ، وتستخدم نفس الحروف أيضاً في صياغة الصفات ، والأسماء المشتقة من الفعل الثلاثي والثلاثي المزيد فيه ، وكل شكل للمزيد فيه يعبر عن المعاني المتطورة والمتنوعة للفعل ، ويدل على معان متجانسة ومتضاربة أيضاً بمعنى أن المعاني المستخرجة كثيراً ما لا تفهم إلا بتأويل وتفسير مجازى متصنع ، ولا تأتي تلك المعاني إلى الأذهان بسهولة أو بطريقة طبيعية ، وقد تصل تلك المعاني من ٢-١٠/تقريباً ، ولعله لهذا السبب نفسه ، يقال : إن اللغة العربية يمكن فيها تأدية المعنى الطويل في لفظ أو عبارة قصيرة ، مثلاً : استغفر .

ويصعب حفظ جميع هذه المعاني المستخرجة ، وأحياناً يحدث الخلاف في تحديد المعنى ، وبعض هذه المعاني المستخرجة معجبة ، ولطيفة للغاية .

وبعض المعنى المتماثل والمتضارب يوجد في الأوزان الأخرى ؛ مثل : افتعل ، وتفعل ؛ مثل : اكتسب وتكسّب ، فاكتسب يدل على الكسب بجهد ، وتكسب على الكسب بجهد شديد يبلغ حد التصنع ، وإفعل وتفعيل متعديان .

فالفعل الذي يستعمل من هذه الأوزان يوجد فيه أحد المعاني العديلة ، ويفهم بالسياق .

٢- (ب) وبجانب أوزان المصادر الثلاثية المزيد فيها تشتق مفردات ؛ تدل بعضها على النعت والوصف ، وهي اسم الفاعل والمبالغة والصفة المشبهة بالفعل ، واسم التفضيل والنسبة ، ولكل نوع تصريف باعتبار الجنس (التذكير والتأنيث) ، والعدد (الواحد

والمثنى والجمع) .

٢- (ج) : وتشتق فيها من الفعل مفردات اسمية هي : اسم المفعول ، واسم الآلة ، واسم الوعاء ، وظرف الزمان والمكان ، واسم الوحدة ، واسم الكثرة والمصدر ، والمصدر الاصطناعي ، واسم النوع ، واسم المرة ، واسم العلة ، واسم الجمع/الجنس .

ولهذا يرى العالم اللغوي الروسي جاروسلاف كيفيش : "إن اللغة العربية توجد فيها قوة اشتقاقية هائلة لتوليد الكلمات ، فيمكن فيها توليد نحو مائتي ٢٠٠/لفظ من الفعل مراعياً العدد والجنس والمصدر ، وقد اشتق العالم اللغوي المصري حسن حسين فهمي من لفظ صهر ١٩٦/كلمة (ص/٣٦) .

وهذه الكثرة من المشتقات التي تصل إلى سبع عشرة كلمة مشتقة قد وضعت كل واحد منها لإعطاء معنى خاص ؛ ومغاير من الآخر ، تعطينا الفكرة كيف إن اللغة العربية قد اهتمت من البداية بقضية نقل الأفكار والأخيلة بدقة ، وإيجاز وإتقان وبراعة .

● ٣- التركيب الإضافي :

من طرق إنتاج المفردات والمصطلحات أن اللغة العربية استخدمت التركيب الإضافي والوصفي ، والإسنادي والمزجي ، وذلك بالطرق التالية :

إضافة الاسم إلى الاسم ، والمصدر إلى المصدر ، والمصدر إلى الصفات ؛ والأسماء المشتقة ؛ مثل :

١- إضافة الاسم إلى الاسم قلم الرصاص

٢- إضافة المصدر إلى المصدر ضريبة الدخل/سوء التفاهم

٣- إضافة المصدر إلى اسم الفاعل وبالعكس

هروب الجاني/ثاقب الفكر

٤- إضافة المصدر إلى المبالغة وبالعكس

فكرة النقاد/نقاد الآراء

٥- إضافة المصدر إلى الصفة المشبهة وبالعكس

كريم الأصل/صعب المنال

٦- إضافة المصدر إلى اسم التفضيل وبالعكس

أسوأ السوء/أفضل العلم

٧- إضافة المصدر إلى المفعول وبالعكس

كتابة المكتوب/ممنوع التدخين

٨- إضافة المصدر إلى الاسم أجرة البيت

٩- إضافة المصدر إلى الظرف صحافة الليل

٣- (ب) ومن التركيب الإضافي استخدام بعض الكلمات المعينة ؛ مثل : ذو ، أولو ، أهل ، آل ، أصحاب ، أب ، أم ، أخ ، أخت ، ابن ، بنت ، لصياغة المفردات والمصطلحات ، ويحمل هذا التركيب معنى الوصف باسم الفاعل ، والنسبة على سبيل المجاز والاستعارة .

١- ذو : ذو قوة = قوى .

٢- أولو : أولو بأس ، أولو الحل .

٣- أهل/آل : آل الملك ، أهل السنة ، أهالي المدينة .

٤- أصحاب : أصحاب الفضيلة .

٥- أب : أبو المعالي ، أبو الخيرات ، أبو الكلام .

٦- أم : أم الخبائث ، أمهات الكتب .

٧- أخ : أخو الحرب = محارب .

٨- أخت : أخت يوشع (كناية عن الشمس) .

٩- ابن : ابن السبيل = مسافر .

١٠- بنت : بنت الكرم ، بنت النعش .

٤- التركيب الوصفي :

يستخدم التركيب الوصفي أي تركيب الكلمات بعضها مع بعض ؛ مثل : النعت والمنعوت أيضاً في اشتقاق الكلمات .

قضية تأديبية	تأمين اجتماعي
بعثة دبلوماسية	شركة تجارية
ثروة قومية	مجمع علمي

٥- ويستخدم التركيب المزجي أي مزج الكلمتين بحيث تكونان كلمة واحدة ، وهذا الجانب قد استغل قليلاً في صياغة المفردات والمصطلحات لوجود قيود ، وشروط عديدة تمنع من استغلاله استغلالاً شديداً وكثيراً ، وهو يختلف من التركيب الإضافي الذي يوجد فيه معنى الملكية .

٦- وأحياناً يستخدم التركيب الإسنادي أي بإسناد كلمة إلى كلمة أخرى بحيث يكون التركيب تركيب المبتدأ ، والخبر ؛ أو الجملة الفعلية ؛ مثل : تأبّط شراً .

٧- وتستخدم الحروف الجارة والظرف في توليد المصطلحات والمفردات ، فيمكن اعتبار الحروف والألفاظ ؛ مثل : ذو والظرف ؛ كسوابق ولواحق .

الجار والمجرور	الظرف
بالإجماع	غالباً
بالاتفاق	إجمالاً
بالقول والعمل	علاوةً
لا محيد عنه	تفصيلاً
لا محالة منه	تدريجياً
لا شعوري به	عبثاً / مراراً

لا داعي إليه	ضمناً / خلافاً لذلك
لا قدرية في العقيدة	شرعاً / طبعاً
غير لازم	استناداً إلى وراء الطبيعيات
من هذا الخصوص	فوق الفطرة / العادة

٨- الإلحاق :

ويُراد به صياغة الفعل من الاسم المركب من أربعة أحرف فأكثر ، وللإلحاق ٧أوزان هي : فَعْلل ، فَوْعل ، فَعْول ، فَيْعَل ، فَعْيَل ، فَعلى ، فَعْنَل ؛ مثلاً : جلباب ؛ هو اسم لثوب فضفاض ، واستعمل كفعل مثل جلبب أي لبس الجلباب ، ويستخدم لإدخال وتعريب الكلمات الأجنبية ؛ مثل بلور ، زركش ، مغنط .

٩- النحت : ويراد به القطع والحفر ، وتخفيف الجملة ؛ أو العبارة الطويلة ، والاختزال ، وله ثلاثة أقسام :

(ألف) نحت من جملة للدلالة على التحدث بهذه الجملة باختصار واختزال ، مثل بسمل : قال : بسم الله الرحمن الرحيم .

دمعز : أدام الله عزك ، جعفل : جعلني الله فداك ، حوقل : قال : لا حول ولا قوة إلا بالله .

(ب) نحت كلمة من أصلين مستقلين أو من أصول مستقلة للدلالة على معنى مركب ، مثل : الفذلكة : فذلك كذا وكذا ، لن : لا وإن ، هلم : هل لك من كذا .

(ج) نحت علم مركب من مضاف ومضاف إليه

عبشميٌ ؛ عبد شمس .

ولم يوسع في استخدام هذا الجانب ، مع أن الإنجليزية تستخدمه بكثرة .

(للحديث صلة)

نظرات حول الشعر الحرّ

بقلم : الدكتور محمد السيد علي بلاسي
(إكاديمي - خبير دولي - عضو اتحاد كتاب مصر)

قضية الشعر الحرّ من القضايا الشائكة التي استحوذت على فكر البعض من الكتّاب والنقّاد ، وقد أوْلتْها مجلاّتنا العربية كل عناية واهتمام ..

ومن منطلق حقل البحث ، اندفعت لكي أصل - بدراسة منهجية - إلى معالم بارزة لهذه القضية ، أشارك بها إخواني الكتّاب الرأي ، فكانت هذه المقالة ثمرة لذلك ، وهي عبارة عن نظرات تأمليّة حول الشعر الحرّ ..

بداية ، لابد أنْ نعلم بأنّ هناك مسميات عديدة للشعر الحرّ ، من بينها : الشعر المنطلق ، والشعر المنثور ، والشعر الحديث ، والشعر الجديد ، وشعر التفعيلة ، وأطلق عليه "العقاد" الشعر السّايب .. غير أن الأنسب لهذا اللّون أن يسمّى بـ "شعر التفعيلة" ، نظراً لأن الوحدة الموسيقية فيه قائمة على القافية الواحدة ..

ولقد تضاربت الآراء حول من حاز قصب السبق في ابتكار هذا اللّون : فالكثير من النقّاد يعتقدون أن بدايته كانت في الحقبة الخامسة من القرن العشرين على يد الشاعرة العربية (نازك الملائكة) بقصيدتها "الكوليرا" التي كتبتها سنة ١٩٤٧م ، في حين أن البعض يرى أنّ الشاعر المصريّ (محمود حسن إسماعيل) قد سبقها في هذا

المجال بقصيدة له تسمّى : "مأتم الطبيعة" والتي نشرها في "مجلة أبوللو" سنة ١٩٣٣م ، وقالوا عن هذه القصيدة بأنّها تعتبر من إرهاصات الشعر الحرّ ، بينما الكثير من الشعراء المحدثين يدّعي كلّ منهم أنه صاحب هذا المولود الجديد ، وقد قامت معركة صاخبة بينهم حول تلك القضيّة ، وأصبح حال الشعر الحرّ منهم كحال "ليلى" مع الشعراء قديماً :

و كلٌّ يدّعـــى وصلاً بليلـى
و ليلى لا تقرّ لهـــم بذاكا ؟!!

غير أنّنا نرى أن الميلاد الحقيقي له كان على أيدي الشعراء اللبنانيين الذين رحلوا إلى أمريكا في النصف الثاني من القرن التاسع عشر ، وسموا - فيما بعد - بشعراء المهجر ..

ويظهر أثر ذلك جلياً من أشعارهم ، بل التصريح - في كثير من الأحيان - بالهجوم على اللغة والوزن والقافية ، تلك الدعائم الثلاث التي يقوم عليها شعرنا العربيّ الرصين ..!

ولقد تزعّم تلك الحملة الشعواء ثلاثة من شعرائهم : ميخائيل نعيمة ، وجبران خليل جبران ، وأمين الريحاني ، غير أنّ (ميخائيل نعيمة) يعتبر الرائد لهم في هذا المجال بهجماته اللاذعة التي أوردها في كتابه "الغربال" الذي أصدره سنة ١٩٢٣م ، وهو مجموعة مقالات ، من بينها مقالة تسمّى "نقيق الضفادع" ، هاجم فيها المنادين بالحفاظ على اللغة ، حيث يقول : "إن شأننا مع ضفادع الأدب لشأن والله عجيب ، يطالعون ما نكتب فيقولون : (نعما الأفكار ، ونعما العواطف ، ونعما الأسلوب ، ولكن .. اللغة (!) كأننا فيما نكتب ، أو ننْظم ، نُلقي عليهم دروساً في اللغة ، وكأنْ لا همّ لنا من النظم إلا أنْ نتحاشى الخطف ، والإشباع ، واستعمال "تحمّم" بدلاً من "استحمّ".

ولقد انبرى (العقاد) - رحمه الله - لنعيمة بالردّ عليه في مقدّمة كتابه "الغربال" قائلاً له ولأمثاله : "إنّ الكتابة الأدبية فنّ ، والفنّ لا يكتفى فيه بالإفادة ، ولا يغني فيه مجرّد الإفهام ، وإنّ الأديب في حِلّ من الخطأ في بعض الأحيان ، ولكن على شرط أن يكون الخطأ خيراً ، وأجمل وأوفى من الصواب ، وإنّ مجاراة التطوّر فريضة ، وفضيلة ، ولكن يجب أن نذكر أن اللغة لم تخلق اليوم ، فنخلق قواعدها وأصولها في طريقنا ، وأنّ التطور إنما يكون في اللغات التي ليس لها ماض ، وقواعد ، وأصول ، ومتى وجدت القواعد ، والأصول فلماذا نهملها ، ونخالفها إلاّ لضرورة قاسرة لا مناص فيها ؟!" .

ولم يكتف (نعيمة) بالثورة على اللغة ، وإنّما هاجم عروض (الخليل بن أحمد) - أيضاً - واتهمه بأنّه قد حوّل الشعر إلى نظم لا ينبض بفكر ، ورأى أنّ العروض لم يسء إلى شعرنا فقط ، بل قد أساء إلى أدبنا بنوع عام ، فبتقديمه الوزن على الشعر قد جعل الشعر في نظر الجمهور صناعة إذا أحاط الطالب بكلّ تفاصيلها أصبح شاعراً .

"وقد كان لثورة (نعيمة) على الوزن ، والقافية ردود فعل واسعة لدى أدباء المهجر ، وشعرائه ، فسرعان ما انطلقوا نحو التخفّف من القيود ، وظهر ذلك في صور متعددة منها : التصرّف في الأوزان القديمة ، وتوزيعها توزيعاً موسيقياً جديداً ، والتفنّن في تنويعها ، والتصرف في البحور القديمة بالزيادة في التفاعيل ، أو النقص ، أو المزج بين التام والمجزوء ، والميل إلى استعمال البحور القصيرة ، أو المجزوءة التفاعيل في معظم الأحيان ، ونحو ذلك ممّا أخرجهم عن التزام قواعد العروض ، إلى جانب أنهم كانوا ينظمون الشعر المرسل الذي يختصّ فيه كلّ بيت بقافية" .

ولا عجب - إذن - !! فليس من الغريب على شاعر

كميخائيل نعيمة أنْ يردّد مثل هذه الأفكار، أليس رائداً من روّاد "المدرسة المهجريّة" التي تقوم على "تغيير قيم الأدب العربيّ بإدخال أسلوب جديد مستغرب يصادم مفاهيم البلاغة ويُعلي عليها صيغة التوراة والمجاز الغربي".

أيّاً ما كان الأمر، فإنّ الشعر الحرّ لا يلائم طبيعة اللغة العربية، ولا الذوق العربيّ، ولا تطمئن إليه النفس الشرقيّة، لخلوّه من عنصر القافية، وخروجه - في كثير من الأحيان - على اللغة والأوزان العروضية المعهودة، "مع أن الوزن والقافية ظاهرة موسيقية من ألزم العناصر للُغة الشعر وأسلوبه، ومن أدق مقاييسه النقدية، كما أن الوزن أخصّ ميزات الشعر وأبينها في أسلوبه، والقافية ظاهرة شعريّة تصوّر المقطع الذي تنتهي به أبيات القصيدة، ويبقى وزنه مردّداً آخر كلّ بيت، ليحفظ لها وحدتها أو نغمتها الأخيرة.

"فاللّغة العربية لا يصلح شعرها بدون قافية، لأنها لغة قياسية رنانة يجب أن يراعى فيها القياس والرنة، وفيها من القوافي المتناسبة ما يتعذّر وجود نظيره في سائر اللّغات، فلا يسوغ لها أن تبرز عطلاً مع توافر ذلك الحلي الشائق" على حدّ تعبير الأستاذ "الشايب" - رحمه الله -.

ويوضّح ذلك أحد النقّاد المعاصرين بقوله: "ولو استطاع شعراء الغرب أن يجدوا لهم أوزاناً كأوزاننا، وقوافي كقوافينا لما تخلّوا عنها، وإنما جعلوا شعرهم على قواف متعددة، لأنّ لغتهم ضيّقة قليلة الألفاظ لالتزام قافية واحدة في القصيدة الطويلة، على خلاف الشعر العربي الذي له من اتساع لغته، واستفاضة ألفاظها أكبر نصيب، وأوفى مدد على تعدّد قوافيه، مع التزام الحرف الواحد فيها".

من هنا، فنحن نعدّ الشعر الحرّ لوناً من ألوان النثر تغلب

فيه الروح الشعرية من قوّة في العاطفة، وبُعْد في الخيال، وإيقاع في التركيب والبناء، "غير أننا لا نستطيع أنْ نُسمّيه شعراً بالمفهوم الاصطلاحي للشعر، مهما تكن شحنات العاطفة والخيال، وألوان التصوير والتعبير فيه.. فالشعر في حقيقته مجموعة من القوى البيانيّة والنفسيّة والفنيّة التي تتظاهر مع بعضها لتكون شاهد صدق على قوة الشاعر وعبقريته، فقوّة التقدير للمعنى لا تستغني عن قوّة الإبداع في الشكل، وكلاهما لا يستغني عن القوة الفنيّة التي تنقل أشياء الطبيعة وشياتها نقلاً فنياً يضاعف من قيمتها، ويكشف عن خبيئتها.

ومع كثرة الشعر الحرّ وتعدّد شعرائه في عصرنا هذا، إلا أنّه لم يؤدّ رسالته في الحياة، ولم يأت بالثمرة المرجوّة من ورائه، كما كان من شعرنا العربيّ المحافظ، ومن الشعر الذي سار نحو التجديد بخطى وئيدة دون أن يتحرر نهائياً من تقاليد الشعر وأنماطه، ومن ثمّ بقي الشعر الحرّ سجين المجلاّت والدواوين لم تتناقله الألسنة، ولم يردّده الرّواة، نظراً لصعوبة حفظه، وغرابة شكله، وغموض معانيه - في كثير من الأحيان - حيث آثر ذووه التعابير الرامزة غير المباشرة، كما جنحوا إلى غموض المعنى وإغلاقه..

ولعل الذي أدّى بهذا اللون إلى تلك الصعوبة في تنقّله وحفظه، افتقادُه للقافية الرتيبة، وعدم تناسب شكله، فبعض أسطره قصير والبعض الآخر طويل، علاوة على مرج تفعيلات البحور بعضها بدون دراية، أمور ثلاثة بها يصعب حفظ الشعر وترديده.

ولعل هذا كله هو الذي حمل أستاذنا "العقاد" على أن يرفض الشعر الحرّ، ويهاجمه، ويسمّيه بـ "الشعر السايب"، ويرى أنّ السليقة الشعبية وأسماع الشعب أقرب إلى الذوق الجميل من أسماع الذين ينبذون الموسيقية المحبوبة التي توارث الأجيال حبّها من أقدم

الأزمنة ، ورأى أنّ الذين يدعون إلى الشعر الحرّ إنما يدعون إلى كلام سقيم لا يصلح للفنّ ولا للفكر ، وأكد أنّ لغتنا العربية لغة شاعرة بطبيعتها ، وبينها وبين فنّ الشعر نسبٌ ،وقربى .

وعلى أية حال ، فنحن لا ننكر التجديد المعتدل في الشعر وفي غيره من الفنون الأدبية الأخرى ، ولا نقف منه موقفاً متشدّداً ، فالتجديد والتطوّر من طبيعة الكائنات ، بل إنّ آدابنا العربية منذ كانت لم تقف عن حدّ المأثور من الآداب السلفية ، وإنما طرأت عليها تجديدات في أشكالها ومضامينها في كلّ عصر من عصور الأدب ، لا سيما عصور الازدهار والقوة التي تلاقت فيها الأفكار العربية والأجنبية ، وحدث بينهما امتزاج معتدل تمثل عند كثير من أعلام الشعر والأدب والفكر ، وطعّمت الآداب العربية بالآداب الأجنبية دون أن تحمي أصالتها أو تذوب شخصيتها في خضم هذه الآداب الجديدة التي نمتها ولقحتها دون أن تمسخها أو تشوّهها .

أما التجديد الذي يقطع وشائج الصلة ، ويوهن أواصر الرباط بين القديم والحديث كهذا الذي نقرؤه في آثار شعرائنا العصريين أو بعضهم مما أطلقوا على بعضه شعراً حرّاً ، وعلى بعضه الآخر شعراً منثوراً ، وما إليها من مسميات بعيدة عن أصول الشعر ومقاييسه ، فهذا ما ننكره ونرفضه من أساسه .

ولا بأس من أنّ يجدد الشاعر ، بشرط أن يكون هناك أصالة ومعاصرة بمعنى أن يتمسك الشاعر بالأصول القديمة في غير ما تجاهل للأغصان الحديثة ..

فشاعر كمحمود حسن إسماعيل جدد - في بعض أشعاره - ولكن في حدود المعقول ، فلقد تصرّف في موسيقي شعره وأنغامه دون أن يفقد شعره قيمته وفاعليته ، وتأثيره تحت شعار التجديد .

ومن نماذج شعره في هذا :

في يميني قناة قوّستها اللّيال
ورماها الرّماة بالخطوب الثّقال
غير أني أسير
خلفها كالضّرير
أينما تشير
لا أهاب المصير إن لمحت الجمال
كم نصبت الخيام في مساء القبور
و عبرت الأنام واكتسحت الدّهور

ولعل تصرف الشاعر في هذا يمكن أن يكون جواباً لأولئك الذين يزعمون أنّ القافية الواحدة عائق لهم عند كتابة الشعر العمودي - ولا شك أن هؤلآء قد خاضوا تلك التجربة قبل أن يكتمل بنيانهم في الإقدام على عمل كهذا - ولذلك يمكن أن يكتبوا على نظام المقاطع - في بادئ الأمر - أي كلّ مقطع على قافية واحدة ، ولا ريب في أن تنويع القوافي أوفق للشعر العربي من إرساله بغير قافية..

وعلى العموم .. فشعرنا العربي شعر رصين يَتسعُ لكل شئ ، فيما يغنينا ذلك عن البعد عنه ، والتطلع إلى نظام آخر في الشعر ، فلسنا بحاجة - إذن - إلى شعر كالشعر الحرّ ، ففي شعرنا العربي الكفاية !

وينبغي أن نعلم "أن هذه الدعوات التي روّجت لذلك النمط المتحرّر من الشعر العصري غريبة عن بيئتنا ، ليست نابعة من الوجدان الحقيقي لتقاليدنا الفنّية المألوفة ، ولكنها دعوات مستوردة وأفكار منقولة ، قصد من بعضها : تغريب شعرنا ، ومسخ صورته المشرقة ، وبعده عن الأذواق الفنية التي ألفته وهامت به منذ القدم .

كما قصد من بعضها الآخر : تقليد آداب أمم أخرى ؛ لها تقاليدها الفنية النابعة من بيئتها الخاصة والمغايرة تماماً لتقاليد آدابنا وأعرافها" .

● دراسات في كتاب الله تعالى :

الاستفادة من قصص القرآن والسنة في مهمة الدعوة

[٢]

بقلم : الأستاذ محمد نعمة الله محمد إدريس الندوي

■ المبحث الثاني - كيفية الاستفادة من منهج قصص القرآن والسنة وأسلوبه وعناصره وموضوعاته وأغراضه :

مرّ علينا من قبل أن القرآن الكريم كتاب دعوة وهداية للتي هي أقوم (٢١) والرسول ﷺ مبلّغ لهذا الكتاب ، ومعلّم له ، وقصص القرآن والسنة من أعظم وسائل نشر الدعوة وتبليغها ، كما مرّ بنا آنفاً أن كل من يتصدّى للدعوة والإرشاد ، مطالب بأن يأخذ بدراسة هذا القصص من جوانب شتى في ضوء الضوابط المذكورة سابقاً ، ويستوعب ما فيه من معان ودلالات وعبر ، استخداماً لها في دعوة الناس إلى توحيد الله ، وتبصيرهم بالدين وتعاليمه ، وتوجيههم إلى ما يصلح لهم ؛ وينفعهم ؛ ويسعدهم ، في الدنيا والآخرة .

ومن هنا ، لابدّ من إلقاء الضوء على كيفية الاستفادة من القصص القرآني والنبوي من جوانب متعددة .

■ الاستفادة من المنهج : الاكتفاء بمواضع العبر :

إذا تدبّرنا في قصص القرآن والسنة وجدنا منهجاً مطرداً في عرضه للوقائع والأحداث ، فمن المعلوم أنه ليس من هدف القصص في المصدرين للشريعة ، المعرفة التاريخية التي تستمدّ من بيان تاريخ الأمم والشعوب ، ولكن للتأثير بعبره والهداية بتوجيهاته ، ولذلك تدور الأحداث فيه في محيط الدعوة إلى الله ، وإلى تحرير العقيدة ،

وتصفيتها من العبودية لغير الله ، وتوجيهها إلى عبادة الله الواحد الخالق ، رب العالمين ، وإلى تعليم الجماعة المسلمة ، وتأييد أهداف الدعوة الإسلامية (٢٢) .

وعلى هذا الأساس نلاحظ أن المنهج المتبع في القصة ، هو الاكتفاء بالقدر الذي يكفي لأداء الغرض الديني ، وقد سبق الكلام عن الأغراض الدينية للقصّة في الفصل السابق ، فمرّة تعرض القصة من أولها ، ومرّة من وسطها ، ومرّة من آخرها ، وتارة تعرض كاملة ، وتارة يكتفي ببعض حلقاتها ، حسبما تكمن العبرة في هذا الجزء أو ذاك ، فتختار المواقف الكفيلة بإيجاد التأثير المعيّن ، وعند ذلك يتوقف العرض القصصي ، فقد تحقّق المراد .

فمثلاً تبدأ قصة آدم منذ خلقه ، لأن فيه مظهراً لقدرة الله وكمل علمه ، وبدأت قصة إبراهيم فتى ينظر في الكواكب ، لما يقصد بها التدليل على ربوبية الله و وحدانيته وألوهيته ، ولم يعرض قصص كثير من الأنبياء إلا بذكر رسالتهم ، لأنها أهمّ حلقة في حياتهم ، والعبرة كامنة فيها ، مثل قصة نوح وهود وصالح وشعيب وغيرهم ، وقصة موسى ذكرت بجميع حوادثها وتفصيلاتها ، لأن في كل حلقة من حلقات القصة غرضاً دينياً (٢٣) .

وعلى نفس المنهج سار القصص النبوي حيث جعل محلّ اهتمامه الحدث الذي فيه العظة ، فنجد بعض القصص مفصلاً تفصيلاً مسهباً ، فيه حلقات متتالية ، ومواقف مختلفة ، كان يتطلّبها تحقيق المغزى ، كقصة : "أصحاب الأخدود" (٢٤) ، وبعضه متوسط التفاصيل ، كقصة : "الثلاثة المبتلون - الأبرص والأقرع والأعمى" (٢٥) ، وبعضه قصير للغاية ، ولكن محقق الغرض الذي سيق من أجله ، كقصة : "بغي بني إسرائيل" التي رأت كلباً كاد يقتله العطش ،

فسقته ، فغفر لها به (٢٦) .

ومن هنا ، يمكن للدعاة الاستفادة من هذا المنهج أن يقتصروا على ما يفيد العبرة ، ويؤدي الغرض عند عرض القصص ، وأن لا يدخلوا في التفاصيل التي لا طائل تحتها ، وأن لا يقدموا على سرد وقائع من شأنها إطالة العرض ، حتى لا تنصرف الأذهان عن أصل الفكرة ، وينتفي المقصود ، وتتحول القصة إلى مجرد تسلية ومتعة .

■ ٢- الاستفادة من الأسلوب : عرض الدعوة في أسلوب مشوق

لا أعني بالأسلوب هنا ما يخصّ ببلاغة القرآن ، وفصاحة النبي الكريم ﷺ ، فإن القرآن كلّه معجز في بلاغته التي ترجع إلى جمال ألفاظه ، وحسن نظمه ، وسمو معانيه ، والفصاحة ظاهرة عامة في سائر كلام النبي الكريم ﷺ ، وما كان يستطيع أحد من فصحاء العرب أن يجاريه ويضارعه في هذا الميدان ، وإنما أقصد تلك البدايات المثيرة التي كانت تسبق قصص القرآن والسنة ، والتي من شأنها أن تلفت انتباه السامع ، وتهيّئ ذهنه لتلقى أحداث القصة ، وتشوّقه إلى معرفة ما يأتي من التفاصيل ، وهذا الأسلوب من الأهمية بمكان ، بحيث يجعل المتلقي سامعاً أو قارئاً ، مشدوداً ومربوطاً بما سيعرض عليه بعد هذه المقدمة .

ومن أمثلة ذلك من القرآن الكريم ، قصة يوسف عليه السلام ، ففي مطلع القصة ؛ يقول الله تعالى : ﴿ نَحْنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ أَحْسَنَ الْقَصَصْ * بِمَا أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ هَذَا الْقُرْآنَ * وَإِنْ كُنْتَ مِنْ قَبْلِهِ لَمِنَ الْغَافِلِيْنَ ﴾ ، فهذه المقدمة القصيرة كفيلة للإثارة والتشويق ، والحرص على ما يلقى إليه من أحسن القصص .

وعلى نفس الأسلوب نجد قصة موسى عليه السلام في سورة "القصص" ، وقصة آدم وداؤد في سورة "ص" ، إذ كانت البداية في

كل قصة بتمهيد يحمل مقوّمات التشويق وعوامل الجذب ، وهذه المقومات والعوامل تختلف من قصة إلى أخرى ، ففي قصة داؤد عليه السلام كان جذب الانتباه و الاهتمام بأسلوب الاستفهام ، فقال تعالى : ﴿ وَهَلْ أَتَاكَ نَبَأُ الْخَصَمْ * إِذْ تَسَوَّرُوا الْمِحْرَابَ * إِذْ دَخَلُوا عَلَى دَاوُدَ ﴾ (٢٧) .

والأمثلة على ذلك كثيرة في السنة المطهرة ، منها قصة : "الثلاثة المتكلمون في المهد" ، إذ بدأها النبي الكريم ﷺ بقوله : "لم يتكلم في المهد إلا ثلاثة" (٢٨) ، وقال في مستهل قصة "قاتل المائة" : كان في بني إسرائيل رجل قتل تسعة وتسعين إنساناً (٢٩) ، وجاء قوله في مطلع قصة "كذبات إبراهيم" : "لم يكذب إبراهيم عليه السلام إلا ثلاثة كذبات" (٣٠) ، فهذه المقدمات على قصرها كافية لاستقطاف تطلع المستمع ، وإثارة التساؤل في نفسه ؛ لما فيه من الغرابة والعجب ، فكأنه يتساءل متعجّباً ، مستغرباً : وكيف كان ذلك ؟

فيستفيد الداعي من هذا الأسلوب أن يعرض ما يريد عرضه على الناس من أمور الدعوة بشكل مشوّق سواء كان في خطبته ؛ أو درسه أو موعظته ، فيبدأ الموضوع بما يشدّ السامعين إليه ، ويجلب انتباههم ، ويشوّقهم إلى تفاصيل هذا الموضوع ، أو يكون التشويق بطرح سؤال جوابه معروف ، وطرحه يثير السامعين عسى أن يكون الجواب غير الذي يعرفونه ، كما في سؤال النبي الكريم ﷺ (٣١) : "أتدرون ما المفلس" (٣٢) .

■ ٣- الاستفادة من عناصر القصّة :

أشرنا سابقاً إلى أن أهمّ ما يشترك فيه قصص القرآن والسنة مع سائر القصص من عناصر ، هو الحدث ، والشخصية ، والحوار ، إلا أنه لا يمكن إخضاع القصّتين القرآنية والنبوية للمقاييس الفنّية

التي تحكم بها الأعمال البشرية، ولكن ليس حديثي الآن عن العناصر من الناحية الفنّية؛ لأنه ليس موضوع بحثنا، وإنما أقصد التركيز على ما يستفاد من هذه العناصر من الناحية الدعوية.

أما ما يستفاد من الحدث؛ فقد سبق أن قلنا أن الحدث في قصص القرآن والسنة مبنيّ على الحقيقة، والصدق، والواقع، ويدور في محيط الدعوة إلى الله؛ ويقصد به العظة والعبرة، لتعميق الإيمان؛ والعقيدة في القلوب والنفوس، وتربية الوجدان والشعور على المبادئ الأخلاقية؛ والقيم الروحية، وتقويم الإعوجاج والانحراف في العمل والسلوك، فتجد قصص القرآن والسنة قصصاً واقعياً، لا يساق إلا لأجل الدعوة والتربية، كما قلنا عندما تحدثنا عن مميّزاته، إذن؛ يمكن الاستفادة من أحداث القصة في القرآن أو السنّة، بأن الأنسب للداعي أن تكون قصته التي يعرضها أثناء عرضه الدعوة مشتقاً من واقع حياة الناس، أو من تجربته الشخصية، وأن لا تكون لمجرّد الإمتاع والتسلية، وإذا كان لابد من ذلك، فعلى الأقل يشير إلى ما فيها من عظة أو درس.

ويستفاد من عنصر الشخصية في قصص القرآن والسنة التأسي بالشخصية الخيّرة والتنفير من الشخصية الشريرة، مع أن الشخصيات في كل من القصّة القرآنية؛ والقصة النبوية ليست مقصودة لذاتها، وإنما المقصود الحدث الذي جرت حوله القصة، لأخذ العبرة وتلمّس الموعظة منه (٣٣)، وقد بيّناه فيما مضى.

وبما أن من أبرز شخوص القصص في القرآن الكريم؛ والسنة المطهرة شخصيات الرسل والأنبياء حيث تمثل قصص الأنبياء أكثر قصص القرآن (٣٤)، وبلغ عدد القصص التي تعرضت للأنبياء في السنة خمسين قصة (٣٥)، فيمكن أن يكون كل نبيّ من الأنبياء مثلاً

أعلى، وقدوة حسنة للدعاة والمدعوّين في الصفات الخلقية التي كان يتميّز بها في مراتب الكمال الإنساني.

فقد كان إبراهيم مثالاً يحتذى في الحلم والرأفة، فقال الله عزوجل عنه: ﴿ إِنَّ إِبْرَاهِيمَ لَحَلِيمٌ أَوَّاهٌ مُّنِيبٌ ﴾ (٣٦)، وكان أيوب عليه وسلم قمة في الصبر، فقال الرب سبحانه وتعالى عنه: ﴿ إِنَّا وَجَدْنَاهُ صَابِراً * نِعْمَ الْعَبْدُ * إِنَّهُ أَوَّابٌ ﴾ (٣٧)، وكان يوسف خير قدوة في العفو، وكظم الغيظ، فقد قال لإخوته رغم ما ألحقوا به من أذى وشرّ: ﴿ لاَ تَثْرِيبَ عَلَيْكُمُ الْيَوم * يَغْفِرَ اللهُ لَكُمْ * وَهُوَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ ﴾ (٣٨)، وكان عيسى مثال المحبة والرحمة، كما في قوله سبحانه وتعالى على لسانه: ﴿ إِنْ تُعَذِّبْهُم * فَإِنَّهُمْ عِبَادُكَ * وَإِنْ تَغْفِرْ لَهُمْ * فَإِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴾ (٣٩).

أما نبينا محمد ﷺ؛ فقد وصفه الله بقوله: ﴿ وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلاَّ رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ ﴾ (٤٠)، وفي آية أخرى بقوله عزّوجل: ﴿ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُمْ بِالْمُؤْمِنِينَ رَؤُوفٌ رَّحِيمٌ ﴾ (٤١).

كما يمكن التأسي بشخصيات كل الأنبياء (٤٢)، يمكن أيضاً الابتعاد والحذر والتنفير من الشخصية الشريرة، وما تتصف به من رذائل وقيم، ليست من الإسلام مثل إبليس في الإغواء، وفرعون في الطغيان، وقارون في البغي، فقصصهم معروفة في القرآن الكريم، وكذلك من أمثلتها في السنة النبوية الأبرص والأقرع في جحود النعمة؛ كما في قصة "المبتلون الثلاثة" (٤٣) والمرأة البغي في النزوة الشيطانية؛ كما في قصة "جريج" (٤٤).

و يستفاد من عنصر الحوار في قصص القرآن و السنة:

التلطّف في تبليغ الدعوة - الإقناع بسوق الأدلة البديهية:

١- التلطّف في تبليغ الدعوة: ويدخل في مفهوم التلطّف لين

القول ، وهذا ما أمر به الله ، موسى وأخاه هارون عندما أرسلهما إلى فرعون لدعوته ، فقال : ﴿ فَقُولاَ لَهُ : قَولاً لَيِّناً لَّعَلَّهُ يَتَذَكَّرُ أَوْ يَخْشَى ﴾ (٤٥) ، وقد أثنى الله نبيه ﷺ بما اتّصف به بالرفق واللين ، والعفو والصفح في قوله وخلقه ، فقال منوّها بشأنه : ﴿ فَبِمَا رَحْمَةٍ مِّنَ اللهِ لِنْتَ لَهُمْ * وَلَو كُنْتَ فَظّاً غَلِيْظَ الْقَلْبِ * لاَنْفَضُّوا مِنْ حَوْلِكَ ﴾ (٤٦) ؛ أي لو كنت سيّئ الكلام ، قاسي القلب عليهم ، لانفضّوا عنك وتركوك (٤٧) .

ومما يدخل في مفهوم التلطف بالقول : المجادلة بالتي هي أحسن ، ونلمس بوضوح التزام الأنبياء بهذا الأسلوب الجميل في تحاورهم مع أقوامهم ، فهذا نوح عليه السلام يردّ على سفاهات قومه : "يا قوم ليس بي ضلالة ، ولكنّي رسول من رب العالمين" (٤٨) ، ويجيب هود قومه على استهزائهم بنفس الخلق العظيم ، والأدب الجمّ : ﴿ يَا قَوْمِ ! لَيْسَ بِيْ سَفَاهَةٌ * وَلَكِنِّيْ رَسُولٌ مِّنْ رَّبِّ الْعَالَمِيْنَ ﴾ (٤٩) .

فعلى الداعي أن يلتزم بالكلمة الطيبة ، والموعظة الحسنة في دعوته ، ويقابل الإساءة بالإحسان ، والطيش بالرصانة ، والسفاهة بالحلم وكظم الغيظ ، ولا تستفزّه جهالة الجاهلين ، ليردّ بالمثل ؛ فإنهم مرضى القلوب ، ومهمة الداعي لهم أن يقوم بدور الطبيب الناصح الشفيق .

٢- الإقناع بسوق الأدلة البديهية : نلاحظ فيما دار بين الأنبياء وأممهم من حوارات ، أن الأنبياء يعتمدون في حججهم للدعوة إلى عقيدة التوحيد على المسلمات البديهية التي تسبق إلى الإفهام ، بحيث يدركها كلّ الناس ، فحاجّ إبراهيم نمرود في سنّة كونية ظاهرة ، يشترك كل الناس في فهمها ، وهي أن يصيّر طلوع الشمس من المغرب إن كان ربّاً كما يزعم ، و واجه قومه بحجّته الدامغة : فقال : ﴿ أَتَعْبُدُوْنَ

مَا تَنْحِتُونَ * وَاللهُ خَلَقَكُمْ وَمَا تَعْمَلُونَ ﴾ (٥٠) .

وقد ساق النبي الكريم ﷺ لحصين والد عمران الذي جاء يكلّمه مكلّفاً من قريش ليمنعه من تسفيه آلهتهم ، ساق له أدلة قريبة من الإفهام ، فقال له بعد ما سمع منه كلامه : "يا حصين ! كم تعبد من آلة ؟" ؛ قال : سبعاً في الأرض ؛ و واحداً في السماء ؛ قال : "فإذا أصابك الضرّ ما تدعوه ؟" ، قال : الذي في السماء ، قال : "فيستجيب لك وحده ، و تشركهم معه" ، و ما زال به ؛ فلم يقم ؛ حتى أسلم" (٥١) .فالداعي : لابدّ له أن يضع في اعتباره عند الجدال أن تكون أدلته واضحة بيّنة ، وأن يخاطب الناس بما يناسب أفهامهم ، ويقنع عقولهم ، ويثير وجدانهم .

[للحديث بقية]

---

(٢١) سورة الإسراء ، الآية : ٩ .

(٢٢) القصص القرآني في منطوقه ومفهومه ؛ عبد الكريم الخطيب : ص/٤٣ ، وانظر : كذلك القصص في الحديث النبوي ؛ الدكتور محمد حسن الزير : ص/٣٥٥ ، وسيكولوجية القصة في القرآن ؛ الدكتور التهامي نقره : ص/٣١٧ .

(٢٣) انظر : التصوير الفني في القرآن ؛ سيد قطب : ص/١٦٢ وما بعدها .

(٢٤-٢٥) مر ذكرها مع التخريج .

(٢٦) البخاري مع الفتح ؛ برقم/٣٤٦٧ من رواية أبي هريرة رضي الله عنه .

(٢٧) سورة ص ، الآيتان : ٢١-٢٢ .

(٢٨) البخاري مع الفتح ؛ برقم/٣٤٣٧ من رواية أبي هريرة رضي الله عنه .

(٢٩) البخاري مع الفتح ؛ برقم/٣٤٧٠ ، ومسلم مع شرح النووي ؛ برقم/٢٧٦٧ من رواية أبي سعيد الخدري رضي الله عنه .

(٣٠) البخاري مع الفتح ؛ برقم/٣٣٥٨ من رواية أبي هريرة رضي الله عنه .

(٣١) انظر : المستفاد من قصص القرآن للدعوة والدعاة ؛ الدكتور عبد الكريم

زيدان : ٤١٧/١ ، مؤسسة الرسالة - بيروت ؛ ط/١ ١٤١٩هـ-١٩٩٨م .

(٣٢) مسلم مع شرح النووي ؛ برقم/٢٥٨١ من رواية أبي هريرة رضي الله عنه .

(٣٣) انظر : القصص القرآني ؛ عبد الكريم الخطيب : ص/٤٢ ، والقصص في الحديث النبوي ؛ للدكتور محمد حسن الزير : ص/٣٠ .

(٣٤) سيكولوجية القصة في القرآن ؛ الدكتور التهامي نقرة : ص/٨ .

(٣٥) القصص في الحديث النبوي ؛ الدكتور محمد حسن الزير : ص/٢٥٢ .

(٣٦) سورة هود ، الآية : ٧٤ .

(٣٧) سورة ص ، الآية : ٤٤ .

(٣٨) سورة يوسف ، الآية : ٩١ .

(٣٩) سورة المائدة ، الآية : ١١٨ .

(٤٠) سورة الأنبياء ، الآية : ١٠٧ .

(٤١) سورة التوبة ، الآية : ١٢٨ .

(٤٢) انظر للتوسع في الموضوع : القصص في الحديث النبوي : ص/٢٥٣ وما بعدها .

(٤٣-٤٤) سبق تخريج القصة : ص/١٩ .

(٤٥) سورة طه ، الآية : ٤٤ .

(٤٦) سورة آل عمران ، الآية : ١٥٩ .

(٤٧) مختصر تفسير ابن كثير للصابوني لدى تفسير الآية .

(٤٨) سورة الأعراف ، الآية : ٦١ .

(٤٩) سورة الأعراف ، الآية : ٦٧ .

(٥٠) سورة الصافات ، الآيتان : ٩٥-٩٦ .

(٥١) الدعوة إلى الله في ميادينها الثلاثة ؛ محمد حامد الغامدي : ص/١٩٤ نقلاً عن الإصابة في تمييز الصحابة ؛ لابن حجر : ٣٣٦/١ ، وحياة الصحابة ؛ للكاندهلوي : ج/١ ، ص/١٧٥ .

دروس نبوية للنساء

بقلم : الأستاذ محمد حسن بُريغش
(الرياض - المملكة العربية السعودية)

يهتم العالم - اليوم - بالمرأة ، وتنعقد من أجلها المؤتمرات والمنتديات ، وتتشكل المؤسسات واللجان ، وتقدم الدراسات والاقتراحات ، وتتسابق وسائل الإعلام لإظهار اهتمامها بالمرأة ، ودفاعها عن حقوقها ، ويبدو للبسطاء أن هذا الاهتمام نابع من تقدير للمرأة ، وحرص على مصلحتها ، لو لا أن الحقيقة تفضح هذه الدعاوي أمام كل مخلص وعاقل .

وإذا نظرنا إلى الجوانب التي تنصبّ عليها هذه الجهود ، وتدور حولها الآراء والمقترحات ، وتنعقد من أجلها المؤتمرات والندوات ، نرى أنها تنحصر في أمر واحد - وإن ظهر بأشكال شتى ، ووجوه متعددة - ألا وهو : منح المرأة الحرية في أن تفعل ما تشاء في أعمالها ، وعلاقاتها ونشاطاتها ، وعواطفها ... وأن تخرج من نطاق الأسرة والتربية .

وهذه الغاية تظهر مرة باسم تحرير المرأة ، ومرة باسم مساواة المرأة بالرجل ، ومرة باسم رفع الظلم والقهر والعبودية عنها ، ومرة باسم السماح لها بممارسة النشاطات المختلفة ، والاشتراك في كل الأعمال التي يتولاها الرجل ، ولا سيما في التخطيط والحكم والسياسة .. إلى غير ذلك من الصور والأشكال .

ولكن الواقع يقول غير ذلك ، ولا سيما في كل البلدان التي

تدعي أنها منحت المرأة حقوقها، وسمحت لها بممارسة كل ما تشاء، وفي مختلف المجالات.

وهذا الواقع يبين أن المرأة استخدمت سلعة رخيصة في سوق الشهوات، وإثارة الجنس، وتحقيق الأغراض الخبيثة، والحصول على الأرباح المادية، والترويج للمنتجات المختلفة، وإغراء الناس بأشياء محرمة ... وهكذا.

ولننظر إلى خارطة العالم الغربي، وإلى وضع المرأة، وإلى المواقع التي وصلت إليها هناك، لتتحقق أن كل ما حصلت عليه شئ تافه، لأنه لا يمثل إلا نسبة ضئيلة في كافة المجالات: السياسية، والاقتصادية، والفكرية، والأدبية، بينما نرى مجالات الفن والإغراء، والدعاية والإعلان، وكل المجالات التي تحتاج إلى الإثارة، أو تحقيق أغراض يصعب الوصول إليها بالطرق العادية، نرى أن هذه المجالات تزدحم فيها النساء، ويتفنّن الرجال الخبثاء في ابتداع الوسائل والأشكال التي تجعل المرأة مثار النظر، و موضع الفتنة والإثارة، و وسيلة اقتحام الصعاب، أو إفساد المجتمعات، وصنع الملهيات التي تأخذ الأجيال بعيداً عن قيمها أو الاهتمام بمصالحها ومستقبلها، وتحقيق طموحاتها.

لماذا رضيت المرأة هذه الصورة؟ ولماذا تركت المجتمعات الغربية تتلاعب بعواطفها ومصيرها بواسطة هذه الطرق الخبيثة؟ ولماذا كانت السلعة التي تلوكها كل وسائل الإعلام والإثارة لتحقيق مآربها في الربح المادي، أو الكسب السياسي، أو غير ذلك من المآرب؟

هذا عائد للمرأة، ولطبيعتها التي تميل إلى العاطفة، وتتجاوب مع الإغراءات وحب الظهور، وتصغي للمدح والثناء.

ولا تقع في هذا المنزلق الخطير، إلا حينما تتخلى عن فطرتها

السوية، وتُصغي للشيطان الذي أنزل آدم وحواء من الجنة: ﴿ وَقُلْنَا: يَا آدَمُ اسْكُنْ أَنْتَ وَزَوْجُكَ الْجَنَّةَ * وَكُلاَ مِنْهَا رَغَداً * حَيْثُ شِئْتُمَا * وَلاَ تَقْرَبَا هَذِهِ الشَّجَرَةَ * فَتَكُونَا مِنَ الظَّالِمِينَ * فَأَزَلَّهُمَا الشَّيْطَانُ عَنْهَا * فَأَخْرَجَهُمَا مِمَّا كَانَا فِيهِ * وَقُلْنَا: اهْبِطُوا بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ * وَلَكُمْ فِي الأَرْضِ مُسْتَقَرٌّ * وَمَتَاعٌ إِلَى حِينٍ ﴾ (البقرة/٣٥-٣٦)، وما يزال الشيطان مستمراً في الكيد للإنسان، والسعي لإزلاله عن كل خير وفضيلة، وسوقه معه إلى جهنم؛ وبئس المصير: ﴿ وَيُرِيدُ الشَّيْطَانُ أَنْ يُضِلَّهُمْ ضَلاَلاً بَعِيداً ﴾ (النساء/٦٠).

وكل دعوات الشيطان إغراء وخداع وإفساد، وإخراج عن الفطرة السوية، وهذا ما يَعِدهم به الشيطان: ﴿ يَعِدُهُمْ وَيُمَنِّيهِمْ * وَمَا يَعِدُهُمُ الشَّيْطَانُ إِلاَّ غُرُوراً ﴾ (النساء/١٢٠).

وهو دائم السعي لإضلال الناس، عن طريق وساوسه وإغراءاته واندساسه في منعطفات خادعة ليكشف عورة الإنسان، ويخرجه عن الحشمة والعفة والطهارة، ويوقعه في الإثم والفحش والمنكر: ﴿ فَوَسْوَسَ لَهُمَا الشَّيْطَانُ * لِيُبْدِيَ لَهُمَا * مَا وُرِيَ عَنْهُمَا مِنْ سَوْءَاتِهِمَا ﴾ (الأعراف/٢٠)، وليس غريباً أن يستمر هذا المسعى الخبيث إلى آخر الدهر، لأن الشيطان عدو لدود للإنسان، أخذ على نفسه العهد والعزم أمام الله أن يستمر في إغواء بني آدم، وتزيين المنكر والفحش لهم إلى يوم الدين: ﴿ إِنَّ الشَّيْطَانَ كَانَ لِلإِنْسَانِ عَدُوّاً مُبِيناً ﴾ (الإسراء/٥٣)، ﴿ إِن يَدْعُونَ مِنْ دُونِهِ إِلاَّ إِنَاثاً * وَإِنْ يَدْعُونَ إِلاَّ شَيْطَاناً مَّرِيداً * لَّعَنَهُ اللهُ * وَقَالَ: لأَتَّخِذَنَّ مِنْ عِبَادِكَ نَصِيباً مَّفْرُوضاً * وَلأُضِلَّنَّهُمْ * وَلأُمَنِّيَنَّهُمْ * وَلآمُرَنَّهُمْ * فَلَيُبَتِّكُنَّ آذَانَ الأَنْعَامِ * وَلآمُرَنَّهُمْ * فَلَيُغَيِّرُنَّ خَلْقَ اللهِ * وَمَنْ يَتَّخِذِ الشَّيْطَانَ وَلِيّاً مِّنْ دُونِ اللهِ * فَقَدْ خَسِرَ خُسْرَاناً مُّبِيناً * يَعِدُهُمْ وَيُمَنِّيهِمْ * وَمَا يَعِدُهُمُ

الشَّيْطَانُ إلاَّ غُرُوْراً * أُولَئِكَ مَأْوَاهُمْ جَهَنَّمْ * وَ لاَ يَجِدُوْنَ عَنْهَا مَحِيْصاً ﴾ (النساء/١١٧-١٢١) .

وهذا واقع المجتمعات الإنسانية اليوم ، التي استجابت للشيطان في دعوات الإغراء والتضليل ، والخروج عن طريق الفطرة السوي ، وطريق الصلاح والفلاح في الدنيا والآخرة .

ولكن يجدر بالمسلمين ، والنساء منهم خاصة ، أن يعوا هذه الحقائق ، وينظروا بعين العقل الرشيد ، والبصيرة النافذة ، إلى ما يُراد لهن من كيد وإفساد ، وأن يقف الجميع أمام هذا التيار المخادع الضال .. بقوة وثقة وثبات ، متمسكين بطريق الخير ، وهو صراط الله المستقيم ، صراط الذين أنعم عليهم ، وفتح لهم أبواب الخير والنجاح ، والسعادة والطمأنينة .

ولا يستطيع أحد أن يوقف هذا الانهيار المريع للمجتمعات ، والأسرة بالذات ، والسقوط الشائن للمرأة في مراتع الفساد ، إلا إذا صحت النساء ، واستفاقت المرأة ، ورفضت أن تكون سلعة في يد الخبثاء ، وأدعياء الشيطان ، واستعلت على دعوات الإغراء والإغواء ، وتمسكت بفطرتها السوية ، ومسئوليتها الجسيمة ، ونهضت بحمل الأمانة لتكون في ركب المؤمنات الطاهرات ، وفي جيش المرأة التي صنعت الأبطال ، وأنشأت المجتمعات ، و وقفت في وجه الطغيان والفحشاء ، كامرأة فرعون ، ومريم العذراء ، وخديجة أم المؤمنين ، وفاطمة وعائشة ، وأسماء وأم سلمة ، وأم سُليم ، وبركة ، وغيرهن وغيرهن من هذه السلسلة الطاهرة المؤمنة ، التي تمثلت بقول امرأة فرعون لزوجها الملك الجبار الطاغية ، حليف الكفر والشيطان : ﴿ وَ ضَرَبَ اللهُ * مَثَلاً لِّلَّذِيْنَ آمَنُوا امْرَأَةَ فِرْعَوْنَ * إِذْ قَالَتْ : رَبِّ ابْنِ لِيْ عِنْدَكَ بَيْتاً فِي الْجَنَّةِ * وَنَجِّنِيْ مِنْ فِرْعَوْنَ وَعَمَلِهِ * وَنَجِّنِيْ مِنَ الْقَوْمِ

الظَّالِمِيْنَ ﴾ .

وتمثلت أيضاً بموقف مريم ابنة عمران الطاهرة العابدة المؤمنة : ﴿ وَمَرْيَمَ ابْنَةَ عِمْرَانَ الَّتِيْ أَحْصَنَتْ فَرْجَهَا * فَنَفَخْنَا فِيْهِ مِنْ رُّوْحِنَا * وَصَدَّقَتْ بِكَلِمَاتِ رَبِّهَا * وَكُتُبِهِ * وَكَانَتْ مِنَ الْقَانِتِيْنَ ﴾ (التحريم/١١-١٢) ، وبموقف خديجة التي بشرت محمداً ﷺ بالرسالة ، وقوّت من عزمه ، وشدت عضده ، وكانت أول مؤمنة برسالته ، وبذلك تركت لنا نموذجاً وقاعدة في الدعوات ، بأن الرجل والمرأة ، عندما يتمسكان بمنهج الله ﷻ ؛ ويعزمان على السير في طريق الخير ؛ والدعوة يحققان الكثير والكثير ، وأن البداية من البيت المسلم ، والزوجين كليهما في أي دعوة للخير ، أو نهضة للأمم .

إن هذه الحقائق التي أشرنا إليها في وضع المرأة ، والأخطار المحدقة بها وبالمجتمعات عن طريقها ، كانت موضع اهتمام في الإسلام بما نزل في كتاب الله ﷻ من آيات ، وبما ورد فيه من أمثلة على مصير المجتمعات والأمم التي تستجيب لدعوات الشيطان وسبل الإغراء والغواية والشهوات ، كما فيه أمثلة على مواقف الصالحات ، وجزائهن في الدنيا والآخرة .

وكذلك في حديث رسول الله ﷺ الذي ترك لنا الصور العملية ، والنماذج الحية لمجتمع النساء المؤمنات ، ومسئوليتهن الكبيرة في حمل الأمانة ، وتبليغ الرسالة ، وبناء المجتمعات ، وإقامة الدول على شرع الله ﷻ .

وليس من قبيل المصادفة أن يقضي الله ﷻ لرسوله الخاتم بأن يتزوج من خديجة رضي الله عنها المرأة الوضيئة الرزينة العاقلة الحصيفة الطاهرة (١) ، التي استعلت على مغريات الجاه ، والشهوة ، والإطراء

(١) أسد الغابة ؛ ترجمة خديجة رضي الله عنها : "قال الزبير : كانت تدعى في >>

والملل ، واختارت الاستقامة والعفة والرشاد ، وكانت - فيما بعد - الزوجة الصالحة الوفية ، والأم المربية المؤمنة التي ضربت أروع الأمثلة في بناء الأسرة المؤمنة الصالحة ، الأسرة الواعية الراعية ، الأسرة التي تقف جسداً واحداً للوصول إلى تبليغ الرسالة ، ولهذا استحقت أن تكون من خير نساء الدنيا : عن أنس قال : قال رسول الله ﷺ : "خير نساء العالمين ، مريم بنت عمران ، وآسية بنت مزاحم ، وخديجة بنت خويلد ، وفاطمة بنت محمد ﷺ" .

و قال : "أفضل نساء أهل الجنة خديجة بنت خويلد ، و فاطمة بنت محمد ، و مريم بنت عمران ، و آسية بنت مزاحم ؛ امرأة فرعون" (٢) .

وقال عليه الصلاة والسلام ؛ نقلاً عن جبريل عليه السلام : "بشر خديجة ببيت في الجنة من قصب ، لا نصب فيه ولا صخب" (٣) .

أليست هي الزوجة - لرسول الله ﷺ - الرفيقة الصالحة ، التي قالت لزوجها وهو عائد من غار حراء ، وفؤاده يرتجف ، وهو يقول : "زملوني زملوني" ، وسمعت منه ما رأى : " كلا والله لا يخزيك الله أبداً ، إنك لتصل الرحم ، وتصدق الحديث ، وتقري الضيف ، وتحمل الكل ، وتكسب المعدوم ، وتعين على نوائب الدهر" ، ثم بشرته وقالت : "أبشر يا ابن عم واثبت ، فوالذي نفس خديجة بيده ، إني لأرجو أن تكون مني هذه الأمة" .

>> الجاهلية الطاهرة ، وروى ابن إسحاق أنها كانت امرأة حازمة لبيبة شريفة ... وكانت أوسط نساء قريش نسباً ، وأعظمهم شرفاً ، وأكثرهم مالاً ..." .

(٢) صحيح البخاري : (٣٤٣٢) ، (٣٨١٥) ، صحيح مسلم : (٢٤٣٠) و (٢٤٣٢) و (٢٤٣٣) ، والمسند : (٦٤٠) ، والترمذي ، والبزار وعبد الرزاق وغيرهم .

(٣) صحيح البخاري : (٣٨١٥) و (٣٤٣٢) وغيره .

ثم تحققت من نظرتها هذه عندما ذهبت مع رسول الله ﷺ إلى ورقة بن نوفل - وكان من الحنفاء - وسمعت منه ما يؤكد ذلك .

وكانت أول من أسلم ، وكان بيتها هو أول بيت في الإسلام ، وكان إيمانها أمناً وسلاماً ، حيث كانت هي السكن الذي يأوي إليه رسول الله ﷺ بما فيه من رحمة ومؤازرة ، وتصديق وتثبيت وتشجيع ، وتخفيف عما يلاقي من الأذى والمتاعب والمعارضة (٤) ، وبذلك أصبح لخديجة منزلة فوق منزلة نساء النبيين جميعاً ، وصارت لها منزلة في الذروة من نساء العالمين ، ولا عجب بعد ذلك أن يضع لنا رسول الله ﷺ منهجاً في التعامل مع الزوجة الوفية ، والوفاء مع الشريكة الصالحة ، فيعلن مخاطباً أم المؤمنين عائشة ، بأنه لم يبدل الله عنها ، وأن يسمي العام الذي توفيت فيه عام الحزن ، فهي التي أذهبت عنه الحزن يوم جاءها يرجف فؤاده من أول لقاء الوحي الإلهي ، وهي التي كانت تأسو جراح قلبه كلما لقي من قومه صدوداً أو أذى ، وهي التي شاركته في حمل ضرّائه ، وبذلت له المال والنفس لمرضاة ربها ﷻ .

وظل ﷺ يذكرها دائماً بالخير ، يحب من كانت تحبه ، ويواد من كانت توده ، ويقول : "ما أبدلني خيراً منها ، وقد آمنت بي إذ كفر بي الناس ، وصدقتني إذ كذبني الناس ، وآستني بمالها إذ حرمني الناس ، ورزقني الله ولدها إذ حرمني أولاد النساء" (٥) .

المرأة كما رأينا شق الرجل وشريكته ، تقف معه ، وتحمل المسئولية معه ، وتقف بجانبه وتؤازره ، وبدون ذلك تنهار الأسرة والمجتمع ، ويفشل الرجل والمرأة معاً .

---

(٤) خاتم النبيين ؛ د/محمد أبو زهرة : ج/١ ، ص/٤١٦-٤١٧ .

(٥) خاتم النبيين ؛ لأبي زهرة رحمه الله : ج/١ ، ص/٥٧١ .

ولقد اهتم رسول الله ﷺ بالمرأة، اهتم بها قولاً وعملاً، وكانت سيرته مع النساء منهجاً عملياً للمجتمعات، وطريقاً واضحاً لمعرفة السبيل القويم في علاقة الرجل بالمرأة، ومسئوليتهن في الحياة.

وكانت توجيهاته و وصاياه، ومواعظه ودروسه للرجال والنساء جميعاً حيث كانت النساء تحضر الجمع والجماعات، وتشارك في الأحداث وحل المشكلات، ومع ذلك فقد خصهن رسول الله ﷺ بدروس وتوجيهات دون الرجال.

عن جابر (٦) قال: شهدت الصلاة مع النبي الكريم ﷺ في يوم عيد، فبدأ بالصلاة قبل الخُطبة بغير أذان ولا إقامة، فلما قضى الصلاة، قام متوكئاً على بلال، فحمد الله وأثنى عليه، و وعظ الناس وذكّرهم، وحثهم على طاعته، ثم مضى إلى النساء ومعه بلال، فأمرهن بتقوى الله، و وعظهن، وحمد الله وأثنى عليه وحثهن على طاعته؛ ثم قال:

"تصدَّقن، فإن أكثركن حطب جهنم".

فقالت امرأة من سَفِلَة النساء، سفعاء الخدين (٧):

لم يا رسول الله ﷺ؟

قال: "إنكن تُكثرن الشَّكاة، وتكفُرن العشير".

فجعلن ينزعن حُليهن وقلائدهن، يقذفن به في ثوب بلال

(٦) أي جابر بن عبد الله.

(٧) سفلة النساء: أي من النازلات رتبة، لا من عِليَتهنّ وخيارهن حسباً ونسباً، وفي رواية مسلم: "من سطة النساء، سفعاء الخدين: السُّفعة: نوع من السواد ليس بالكثير، وقيل هو سواد مع لون آخر.

بتصدقن به (٨).

وفي رواية للبخاري قال: "يا معشر النساء! تصدقن فإني أريتكن أكثر أهل النار".

فقلن: وبم يا رسول الله ﷺ؟

قال: "تكثرن اللعن، وتكفرن العشير، ما رأيت من ناقصات عقل ودين أذهب للبّ الرجل الحازم من إحداكن".

قلن: وما نقصان ديننا وعقلنا؛ يا رسول الله؟

قال: "أليس شهادة المرأة مثل نصف شهادة الرجل؟".

قلن: بلى، قال: "فذلك من نقصان عقلها، أليس إذا حاضت لم تصل ولم تصُمْ؟".

قلن: بلى، قال: "فذلك من نقصان دينها" (٩).

صدق رسول الله ﷺ.

نقف مع هذا الحديث بعض الوقفات، لنرى ما فيه من أمور تربوية، وإشارات للقيم التي ينبغي أن تصبح أساساً في إعداد النساء، وتحديد مسئوليتهن في هذه الحياة.

١- لم تكن المرأة منزوية في بيتها، بعيدة عما يجري في مجتمعها التي تكوّن في المدينة المنورة بعد هجرة المسلمين إليها، فالمرأة مع

(٨) إسناده صحيح على شرط مسلم، ورجاله ثقات رجال الشيخين غير واحد من رجال مسلم، أخرجه أحمد: ج/٢٢، ص/٣١٣، رقم/١٤٤٢٠، والنسائي؛ وابن خزيمة؛ والدارقطني؛ والدارمي.

(٩) صحيح البخاري: ص/٣٠٤. ومسلم، والفريابي، وأبو يعلى، وأبو نعيم، والبيهقي، وفي شرح الحديث للسندي، قال: أكثركن: أي أكثر جنس النساء، وليس المراد الحاضرات، وتكفرن العشير، أي تنكرن إحسان الزوج.

الرجل يصنعان هذا المجتمع الوليد، على هدي الدين الجديد، وكلاهما يهمّه أن يسمع ما ينزل من الوحي، أو يصدر عن رسول الله ﷺ لتتحول هذه النصوص إلى حياة حقيقية فاعلة، ولذلك كانت النساء تحضر الجمع والجماعات، وتسمع خطب رسول الله ﷺ وتوجيهاته ومواعظه، وتتلقى أوامره وتعليماته.

وهذا يوم عيد - وللمسلمين عيدان؛ هما الفطر والأضحى - حيث حضر المسلمون صلاة العيد، ثم استمعا إلى خطبة رسول الله ﷺ في هذه المناسبة.

وكان مضمون هذه الخطبة - كما وصفها راوي الحديث الصحابي جابر بن عبد الله الأنصاري - حمد الله ﷻ، والثناء عليه بما أنعم وتفضّل؛ ثم وعظ المسلمين بما يناسب الموقف، من تذكيرهم بفضل الله ﷻ عليهم، ومسئوليتهم و واجبهم نحو ربهم ودينهم ومجتمعهم، وتذكيره بما عليهم من واجبات، وحثّهم على طاعة الله ﷻ، والتزام أمره، واجتناب نواهيه ...

وكان في خطبته هذه، يتوجه إلى جميع المصلّين من الرجال والنساء، ويعظ فيما قال الجميع على السواء.

٢- ومع ذلك فقد توجه رسول الله ﷺ إلى النساء ليخصّهن بخطبة أخرى، فيها ما فيها من المواعظ والأوامر التي تهم النساء فقط، كما فيها من التأكيد على الأمور التي وردت في خطبته الأولى.

وهذا التخصيص للنساء، يدل على أهمية المرأة في المجتمع، وأثرها في مسار الدعوة؛ وصلاح الأجيال، ومسئوليتها التي تجعلها أهلاً للمكانة التي أعطيت لها، كما تشير إلى خطورة الظواهر التي تبدأ من المرأة، ثم تكبر وتستفحل حتى تصبح مشكلة اجتماعية، أو

خطراً محدقاً بالأمة، أو مرضاً يفتك بأوصال الأجيال.

٣- كان مضمون خطبته ﷺ؛ كما وصفها راوي الحديث ﷺ مشابهاً لمضمون خطبته الأولى، من البدء بحمد الله والثناء عليه، والوعظ والتذكير ... ولكنه زاد في هذه الخطبة أنه ﷺ أمرهن بتقوى الله، لتأكيد ما ينبغي لهن أن يفعلن أو يتجنبن، ولتأكيد الأساس الذي يوزن به المسلم - والمرأة بالذات - أعماله، والنهج الذي يضمن استقامة العمل وصوابه؛ وهو تقوى الله، حيث يتميز المسلم - من دون الناس - بهذه الخاصية، في التماسه مرضاة الله ﷻ في كل عمله، وحرصه على تقواه، والتقوى تدفعه لأداء واجبه، وطاعة ربه، كما تمنعه من اقتراف المعاصي، أو الاقتراب من المحرمات والشبهات.

تقوى الله حصن يحمي المسلم من المنكر؛ والخطأ والعبث، لأنه ميزان دقيق و واضح وسهل، كما أنه سبيل مأمون وناجح في تحقيق الغايات.

والمرأة التي تغلب عليها العاطفة وشدة التأثر، وسرعة الانفعال، وكثرة التقلب، المرأة بحاجة إلى هذا الحصن والميزان، لكي تقوّم أعمالها، وتؤدي واجباتها، فلهذا أمرهن رسول الله ﷺ بتقوى الله تأكيداً، وتخصيصاً، و وعظهن، وحثهن على طاعة الله.

٤- انتقل رسول الله ﷺ إلى تخصيص أوسع وأدق عند النساء، وبادرهن بالإخبار عن حقيقة ربانية أعلمه بها ربه - سبحانه وتعالى - أو أراه إياها عياناً، كما ورد في رواية البخاري: "فإني أريتكن أكثر أهل النار"؛ أو في غيرها: "فإن أكثركن حطب جهنم"؛ أو: "فإنكن أكثر أهل النار".

وهذه الحقيقة التي لا يأبه بها الناس، ترتجف لها أوصال المؤمن

وتهيج منها نفسه وقلبه، وتتحول حياته إلى خوف وفزع وهلع، لأن المسلم يعلم يقيناً، بأن الله ﷻ هو الخالق، وهو الرازق، وهوالمحيي، وهو المميت، وبيده كل شئ، كما أنه رؤوف رحيم، وعذابه عذاب أليم، وما يعد به يأتي يقيناً لا لبس فيه.

وجهنم، ما جهنم عند المؤمن، وعند المرأة بالذات؟ هذه النار الحامية، التي لا نار مثلها، ولا حريق مثل حريقها، ولا ألم كألم المعذبين بها، جهنم هذا المصير المفزع الذي يتوعد الله به الكفار والمشركين والعصاة، فتنخلع قلوب العاقلين، ويحسّ بلهيبها المتّقون، فيرجعون إلى الله تائبين مستغفرين، ويعودون إلى الله طائعين.

والرسول - عليه الصلاة والسلام - يقول للنساء المؤمنات الطائعات اللواتي أتين لصلاة العيد، وسماع خطبته ومواعظه، يقول لهن: "فإن أكثركن حطب جهنم" "وأكثر أهل النار"، والمراد بذلك ليس من حضر من النساء، وإنما جنس النساء كلهن، وهذا سيثير اهتمامهن، ويجعلهن أكثر تطلّعاً وحرصاً على معرفة الأسباب التي تؤدي بهن إلى النار، وتجعل منهن حطب جهنم، ولدى سماعهن هذه العبارة ستتوفر أحاسيسهن كلها، ويتفتّح وعيهن كاملاً لمعرفة السبيل إلى النجاة من هذا المصير، والفوز برضوان الله ﷻ وتحقيق معنى الإيمان، وسبيل التقوى العملية.

(يتبع)

****

• صدر و أوضاع:

وَلِلَّهِ جُنُودُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ

الأستاذ السيد واضح رشيد الحسني الندوي

إن الإنسان لا يعرف ما هي حكمة الله فيما يصيبه، ويلم به من الخطوب والنوازل، وقد خلق عجولاً، وهلوعاً، و وصفه القرآن؛ وهو كلام خالق الإنسان، وفاطر السماوات والأرض: ﴿ فَأَمَّا الْإِنْسَانُ إِذَا مَا ابْتَلَاهُ رَبُّهُ * فَأَكْرَمَهُ * وَنَعَّمَهُ * فَيَقُولُ: رَبِّي أَكْرَمَنْ * وَأَمَّا إِذَا مَا ابْتَلَاهُ * فَقَدَرَ عَلَيْهِ رِزْقَهُ * فَيَقُولُ: رَبِّي أَهَانَنْ ﴾، وجاء في موضع آخر: ﴿ كُتِبَ عَلَيْكُمُ الْقِتَالُ * وَهُوَ كُرْهٌ لَّكُمْ * وَعَسَى أَنْ تَكْرَهُوا شَيْئاً * وَّهُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ * وَعَسَى أَنْ تُحِبُّوا شَيْئاً * وَّهُوَ شَرٌّ لَّكُمْ * وَاللهُ يَعْلَمُ * وَأَنْتُمْ لاَ تَعْلَمُونَ ﴾ (البقرة)، ولكن المؤمنين الصادقين يقولون لدى البلاء، والمحن؛ كما جاء في القرآن الكريم: ﴿ هَذَا مَا وَعَدَنَا اللهُ وَرَسُولُهُ * وَصَدَقَ اللهُ وَرَسُولُهُ * وَمَا زَادَهُمْ إِلاَّ إِيْمَاناً وَّتَسْلِيْماً * مِنَ الْمُؤْمِنِيْنَ رِجَالٌ صَدَقُوا * مَا عَاهَدُوا اللهَ عَلَيْهِ * فَمِنْهُمْ مَّنْ قَضَى نَحْبَهُ * وَمِنْهُمْ مَّنْ يَّنْتَظِرْ * وَمَا بَدَّلُوا تَبْدِيْلاً ﴾ (الأحزاب/٢٣).

يوجد في كل عصر هذان الصنفان من المسلمين، صنف تزعجه الحوادث والمحن، وتزحزح إيمانه، وتزلزل الأقدام، وتضيق له الأرض بما رحبت، وصنف تزيده المحنة والبلاء إيماناً، ويقيناً، فيثبت

كالجبل الصماء، لا تزحزحها السيول الجارفة، فتمر هذه السيول وتنزل، ثم تجف مياهها وتقف هذه الجبال شامخة، وكما قال شاعر عربي:

كناطح صخرة يوماً ليوهنها
فلم يهنها وأوهى قرنه الوعلُ

إن تاريخ الإسلام حافل، بمواقف الإحباط، و التكسر والخذلان، ومواقف الصمود، والإباء، والبطولة والتصدي، مواقف الوهن، والخنوع، ومواقف التصلب والثبات، وقد خرج المسلمون من البلاء وقد صقلهم البلاء، وجلاهم، وتبددت الظلمات، كلما أصيبوا بمحنة وبلاء زادوا إيماناً ويقيناً في موقفهم وسلوكهم، وينصر الله متى يشاء.

كانت كارثة ١١/سبتمبر حدثاً تاريخياً، تطور إلى كارثة عالمية، شملت المسلمين في أرجاء العالم كله، واستهدف المسلمون والإسلام في كل مكان، وتواطئت الدول العالمية كلها، رغبة أو رهبة، لمحاربة العدو المشترك الذي اسمته بالإرهاب الإسلامي، وأطلق هذا التعبير بمر الزمان على كل عمل يثير في المسلمين الانتماء إلى الإسلام واتباع تعاليمه، وكل مظهر يشير إلى الولاء للإسلام، وتعدى إلى المدارس القرآنية الابتدائية، والأعمال الخيرية، والخدمات الإنسانية، و وصف أحد المفكرين الغربيين الحرب على النهضة الإسلامية، بأنها حرب لوقاية أوربا من الخطر الإسلامي، وأن هذا العدو، هو أكثر خطراً من اليابان، وألمانيا، قبل الحرب العالمية، وأن السيطرة على الخطرين السابقين كانت أسهل من السيطرة على هذا الخطر.

وتلك سائر الإجراءات التي اتخذت بعد هذه الحادثة، على أن الهدف الأساسي لهذه الإجراءات هو تطويق الإسلام، وتحديده، وسخرت في هذه الحملة بجانب الوسائل العسكرية، والاقتصادية، والدبلوماسية، وسائل الإعلام بجميع أصنافها من الكتب، إلى الإرجاف، والإشاعات، والضغوط النفسية، والاجتماعية، وفرضت القيود على سائر النشاطات والحركات التي من شأنها أن تنمى الوعي والشعور الإسلامي، وفرض الحظر على جميع المؤسسات، التي تقوم بدعم النشاطات الإسلامية، حتى نشر الكتب الإسلامية، وتوزيع نسخ المصحف الكريم، وتوزيع أموال الزكاة على الفقراء والمساكين.

إن النتيجة الطبيعية لهذه الإجراءات، كانت إيقاف حركة انتشار الإسلام، وانسداد طرق التعرف عليه، وامتناع الإقبال عليه الذي كان يلاحظ قبل وقوع هذه الكارثة المصطنعة، ولكن ما يحدث في العالم اليوم هو عكس هذه النتيجة الطبيعية المتوقعة، فقد تحولت هذه الإجراءات نفسها حافزاً إلى التعرف على الإسلام، وتحول التعرف على الإسلام حافزاً إلى الإقبال عليه.

يدل على ذلك الاتجاه المتصاعد إلى دراسة الإسلام في غير المسلمين في مختلف أرجاء العالم، والنسبة المرتفعة المتضاعفة للمقبلين على الإسلام، ويتجلى ذلك من تصريحات الذين يعتنقون الإسلام، فإنهم كما تنشره المجلات الإسلامية؛ يصرحون بأن رغبة دراسة الإسلام نشأت في قلوبهم بتأثير الحملة المعادية للإسلام، والهجوم الإعلامي على الإسلام، وبعضهم درسوا الإسلام لمحاربة الإسلام لكنهم عندما درسوا الإسلام وجدوه على عكس ما تروجه وسائل

الإعلام الغربية، كما دفعهم إلى الإسلام تعايشهم مع المسلمين الذين تصفهم وسائل الإعلام الغربية، بأنهم غير مثقفين وأنهم قسة، لا رحمة في نفوسهم، فوجودهم أكثر رحمة، وأكثر ثقافة من الذين يدعون بالثقافة في أوربا.

كانت الحروب الصليبية التي وقع فيها احتكاك الغرب، بالعالم الإسلامي سبباً لنهضة أوربا، كذلك هذه الحرب التي وصفها جورج بوش في الخطاب الأول له بالحرب الصليبية، تكاد تصبح سبباً لنهضة العالم الإسلامي الذي كان في غفوة، وقد استيقظ العالم العربي بعد حملة نابليون في القرن الثامن عشر، وتوقظه اليوم حملة بوش العالمية الحالية، فقد أحدثت هذه الحملة في المسلمين في سائر أنحاء العالم الوعي الذاتي، والاعتماد على النفس، والحاجة إلى العمل، بعد أن كانوا يعتمدون على الغرب، ويثقون به، وخاصة أمريكا التي كانت تعتبر دولة الحرية، والديموقراطية، وكانت معظم الدول النامية قد لجأت إليها بعد الاستقلال من الاستعمار البريطاني والفرنسي، وتغلغل النفوذ الأمريكي في أحشائه، فزال هذا التصور وخسرت أمريكا سائر أصدقائها، وخسر أصدقاؤها ثقة شعوبهم، وهذا التطور في الفكر والشعور، لم يكن ليحدث بالكتابات في المجلات، وبالخطب في المساجد، بل كان يعتبر ذلك الكلام معارضة للحضارة والتقدم لكن هذه الحملة خلقت جواً نفسياً لهذا التطور، وأحدثت انفعالاً ذاتياً، في المسلمين، وهو مكسب كبير لا يستهان بقيمته.

أما الإقبال على دراسة الإسلام والتعرف عليه، والانجذاب إليه فله أمثلة كثيرة في أوربا وآسيا، وتفيد التقارير الصحفية، أن

معارض الكتب التي تقام في مختلف دول العالم تجذب الزوار إلى الكتب الإسلامية أكثر من غيرها، وأخبر القادمون من الدول الأوربية أن المراكز الإسلامية في هذه الدول تتلقى طلبات للكتب الإسلامية لا تقدر هذه المراكز على تلبيتها لعدم توافر الكتب الإسلامية، وخاصة تراجم معاني القرآن الكريم.

ومن الغريب أن الذين يقبلون على الإسلام بعد دراسته، معظمهم من ألد أعداء الإسلام وكثير منهم درسوه بغرض الهجوم عليه، ومن أمثلة هؤلآء المقبلين على الإسلام، قصة Gary Miller الذي كان نصرانياً متعصباً، و كان أستاذ العلوم الرياضية في إحدى الجامعات، وكان مبشراً عاملاً من كنده، إنه بدأ قراءة القرآن الكريم لانتقاده، والبحث عن مواضع المؤاخذة فيه، لكن القرآن الكريم جذبه إليه قبل أن ينهى دراسته، و يقول ملير؛ كما نشرت مجلة الدعوة: أنه كلما درس القرآن، انجذب قلبه إليه، وأدرك أن الإسلام دين حق، وظهر له زيف النصرانية واليهودية.

زار السفير الألماني الدكتور جنتر مولاك الهند أخيراً، وأقام اتصالات بالزعماء المسلمين للتعرف على وجهات نظرهم، ودراسة الإسلام وأوضاع المسلمين، لعرض صورة صحيحة عن الإسلام والمسلمين على حكومته، وتحدث السفير في مناسبات كثيرة، ودعا علماء المسلمين إلى عرض الإسلام في صورته الصحيحة لمكافحة ما يروج عنه في الأوساط الغربية من دعاية مكثفة باسم الإرهاب، وصرح الدكتور مولاك أن الإسلام قد أعطى أوربا كثيراً في ميدان العلم والطب، وأن أوربا كلها مدينة له في هذا المجال، وقال: إن

أدعياء الإنسانية والمساواة يجب عليهم أن يحاسبوا أنفسهم ، ويبحثوا عن مدى تمسكهم بهذه القيم التي يدعون أنهم من روادها .

وفي الهند التي انتهزت بعض القوى المعادية للإسلام الحملة العالمية على الإسلام وصعدت هجومها على الإسلام كتب أحد الكتاب البارزين في صحيفة (بنج جنى) وهي صحيفة ناطقة بلسان منظمة (R.S.S.) الهندوكية المتطرفة المعروفة لعدائها السافر للإسلام والمسلمين ، وتدعو إلى تهنيد المسلمين ، كتب يقول :

"إننا عندما نسبّ الإسلام ، فإنه يعني أن أكثر من مليار مسلم في سائر أنحاء العالم ؛ لا يحملون قلباً ، ولا فكراً ، وأنهم لا يفهمون العقيدة التي يقدمون لها أغلى التضحيات ، والواقع الذي لا ينكر أن المسلمين قد سجلوا صفحات مجيدة لائقة في تاريخ الإنسانية ، وخلفوا حضارة إنسانية قيمة ، وأضاف الكاتب ترون وجي ، الذي كتب قبل ذلك مقالات هجومية على الإسلام والمسلمين وهو معروف بعصبيته ، في مقال نشرته الصحيفة في العدد الصادر في ٢٥/نوفمبر : إننا عندما نهجم على الإسلام نهجم بدون معرفة تامة له ، ونحن نحمل عواطف سلبية بالنسبة له ، فعلينا أن نعيد النظر ، ونكون الرأي بعد دراسة الإسلام ونبي الإسلام .

هذا هو صحفي حاقد للإسلام ، وهذه صحيفة لا تترك مناسبة للهجوم على الإسلام ؛ والاعتداء على المسلمين ، وإدانتهم ، ولكن تصاعد الحملة الهجومية على الإسلام والمسلمين قد أثار في نفسه هذا الانفعال .

ومثل ذلك كتب صحفي آخر ، وهو كاتب إنجليزي معروف ،

وكان رئيس تحرير المجلة الهندية المعروفة الصادرة بالإنجليزية (ILLUSTRATED Weekly) ، يقول خشونت سنغ في جريدة (HINDUSTAN TIMES) صادفت كتاباً في سيرة محمد ﷺ وقرأته ، فتأثرت به تأثراً كبيراً ، وعلمت تأثير هذه الشخصية في نفوس المسلمين ، وتفاني المسلمين في سبيله ، فعلمت أن المسلمين أكثر تمسكاً بدينهم ، ونداءاً له من غيرهم ، وقال : إن شدة تمسك المسلمين بإسلامهم يرجع أساسياً إلى موقف العالم المعاصر ضدهم ، والكراهية المتصاعدة لهم ، فيدفعهم هذا الموقف العدائي إلى الشعور بالذاتية ، والمحافظة الشديدة على تعاليم دينهم .

وهذه الجملة الأخيرة ؛ تشرح الوضع الراهن ، بصراحة تامة ، و هو أن الأوضاع الراهنة ، والمحنة والبلاء ؛ قد دفعت العالم إلى الإسلام ، ودفعت المسلمين إلى الإسلام في وقت واحد ، وذلك عسى أن تكرهوا شيئاً ، وهو خير لكم ، والله يعلم ، وأنتم لا تعلمون .

يجب على العقول الإسلامية والقيادات الإسلامية في مثل هذا الوضع المتطور أن يستفيدوا منه ، ويواجهوا هذه الطبيعة الجديدة ، بعقل وحكمة ، وعلم ، ورزانة ، فإن العالم المتعطش للأمن والسلام المتذمر بالفساد ، والظلم ، والأنانيات السياسية ، والاتجاهات المادية الجامحة يتجه إلى معرفة الينابيع التي تروى غلته ، وهو مستعد لاستقبال من تلبى رغبته ، ويدل إلى موارد صافية ، فيحتاج هذا الوضع إلى معالجة علمية ، وفكرية ، وسياسية واجتماعية ، كما يتطلب تجنب أعمال طائشة انفعالية ، تحوّل الاتجاه وتغير المسار .

***

في حديقة الشعر :

يا أهل مكّة

بقلم : شاعر طيبة ؛ محمد ضياء الدين الصابوني
(عضو رابطة الأدب الإسلامي العالمية)

أتيتُ بيتـكَ يـا ربـاه في ظمـأ
و حـرقة الشوق في الأضلاع تكـويني
و طفت بـالبيت و الأشواق عـاصفـة
و الحب يدفعنـي و الوجـد يُدنينـي
فمـوجـة من حشود القـوم تقذفـني
و مـوجة من كـرام الناس تقصينـي
قَبّلْتُـه و فـؤادي كلـه لهـف
و خلتُ روحـي تسمو فـي عليين
كـم قبّلَتْـهُ شفـاه قبلنـا سلفت
مـن الصحـابة والغـر الميامين !
شعـرت أنـي قـد قَبّلْتُ ثغـرَهمُ
و أننـي هـائم مثـل المحبين
أتيت بيتكَ في شوق و فـي لهـف
و نشـوة الحب للتقبيـل تغـريـني
يا أهـل (مكةَ) حيـا الله عنصـركم
أنتـم كـرام و مـن قـوم وفيين
يا أهـل (مكةَ) إني قـد عرفتكـم
أهل الصلاح و أهلَ الفضل و الـدين
يـا (جـيرةَ البيتِ) إن الله فضّلكـم
ففضْلُـكمْ عَزَّ عـن وصـف و تبيين
أسلافكـم فتحـوا الدنيـا بعَدْلِهِم
كانـوا مع الحق فـي كل الميـادين

إنـي أكنُّ لكـم حبـاً و عاطفـة
و صـادقَ الـود في عمـق و تمكين
مـا فكـر القلب يوماً في سلـوكم
لا و الذي خلـق الإنسان مـن طين
لكـم ودِدْتُ بـأن أحظـى بقربكـم
و أن أكـون كليلـى للمحبّين !
هـل تذكـرون لقاءً ضمَّ صفوتكم ؟
و إن قلبـي فيكـم حِد مفتـون
و كـم قضينا سويعـات السرور معاً !
و الدهـر ذو شـدة حينـاً و ذو لـين
أحبابَ قلـبيَ أنتـم منتهـى أمـلي
و كمْ تمشّى هـواكم فـي شراييني !
إن لـم تريحـوا فؤاداً من هـواجسه
فمن لقلبٍ طـويل البثِ محـزون ؟
حسبي من العيش أن أحظى بوصلكم
ما كان يرضيكم فـي الـود يرضيني
يـا جيرةَ (البيتِ) إن الله فضّلكم
و (أهـلَ طيبةَ) بالتقوى و بالدين
عرفتكم فعـرفتُ الفضلَ شيمتَكم
و نلـت بركـم كـلَّ الأحـايين
و كـم غمـرتم نفوساً في محبتكـم
لا زلتـم مـوئلاً لـكل مسكـين
لا عيب فيكم سوى أن الغريبَ بكم
يقضـي الليالي فـي أنس و في لين
صلـى الإله على الهـادي و عترته
(محمد) صاحب الأخلاق في (نون)

• إصدارات جديدة :

مفردات القرآن للإمام الفراهي رحمه الله

قلم التحرير (س.ا.)

هذا الكتاب القيم من تأليف الإمام عبد الحميد الفراهي ؛ صاحب تفسير نظام القرآن وتأويل الفرقان بالفرقان ، وهو من نوادر علماء الهند وفضلائها في العهد المتأخر ؛ وصفه العلامة الدكتور محمد تقي الدين الهلالي المراكشي ، وكان قد لقيه قبل وفاته بسبع سنوات ؛ فقال : "وهو نادر في علماء العرب ؛ فضلاً عن علماء الهند" إنه ركّز جهوده العلمية في تدبر كتاب الله ومدارسته ، وبلغ في علمه شأواً لم يبلغه إلا قليل من أهل العلم ، توفي رحمه الله في عام ١٣٤٩هـ" .

وهذا الكتاب ظل في صورة المسوّدة التي لم يقدر للمؤلف أن يشرف على طباعته ، فأعدّه بعض تلاميذه للنشر ؛ حتى صدر مطبوعاً في ١٣٥٨هـ ، ولكنه كان بحاجة إلى تجديد طبعته ؛ طبعةً محققةً منقحةً ومعلّقةً ، المهمة التي تحمّل مسئوليتها زميلنا الفاضل الأستاذ الدكتور محمد أجمل الإصلاحي الندوي ، وقام بنشره الحاج الحبيب اللمسي ؛ صاحب دار الغرب الإسلامي في بيروت .

والكتاب من أجدر الكتب للتوصل إلى فهم مفردات القرآن الكريم ، والاطلاع على تفسير ألفاظه ، نرجو أن ينال قبولاً وإعجاباً في جميع الأوساط العلمية الدينية في العالمين العربي والإسلامي .

الطمأنينة والاعتدال في أركان الإسلام للشيخ ابن تيمية ومعدل الصلاة للشيخ البركوي

إن هاتين الرسالتين المزدوجتين ؛ قد ألفهما عالمان جليلان من علماء السلف ، اللذان نالا مكانةً عاليةً في أوساط العلم والدين ،

وإن كانا من أتباع مذهبين مختلفين من الناحية الفقهية ، ولكنهما متحدان في أصول الشريعة .

فالرسالة الأولى من تأليف شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله ؛ الذي كان الإمام المجتهد المطلق المتبع لكتاب الله وسنة رسوله ﷺ ، والرسالة الثانية للشيخ تقي الدين البركوي ؛ الذي كان متمسكاً بمذهب الفقه الحنفي ، وكلتا هاتين الرسالتين تبحثان في موضوع الاعتدال والطمأنينة في أداء أركان الصلاة ؛ التي هي عماد الدين ، وعليها يقوم صرح الحياة الإسلامية ، وبها تتميّز حضارة الإسلام عن غيرها من الحضارات .

قام بدراسة الرسالتين وتحقيقهما ؛ والتعليق عليهما ، وكتابة مقدمة مفيدة عليهما ؛ وتذييلهما بفهرسة ، الأخ الفاضل الأستاذ محمد رحمة الله الندوي ؛ كما تفضل بكتابة مقدمة على هاتين الرسالتين ؛ الأستاذ الفاضل والمحقق البارع الشيخ زهير الشاويش ، وقد تولّى نشر هاتين الرسالتين المكتب الإسلامي ببيروت .

رسالة التوحيد المسمّى : بـ تقوية الإيمان

للإمام الشهيد إسماعيل بن عبد الغني الدهلوي (١١٩٣-١٢٤٦هـ)

هذا كتاب مهم يبحث في عقيدة التوحيد ، وما لها من تأثير في بناء حياة المسلم وتحليته بالإخلاص لله تعالى والولاء له ، والاعتقاد بالإيمان بجميع صفات الألوهية والربوبية ، والفرار عن غير الله تعالى ، وجميع أنواع الشرك ، وتطهير الحياة الفردية والجماعية من الأدواء والرذائل التي تبعد المؤمن عن جادّة التوحيد وإخلاص العبادة لله .

وقد ألّفت هذه الرسالة باللغة الفارسية ؛ فنقلها إلى العربية ، وقدّم لها سماحة العلامة الشيخ السيد أبي الحسن علي الحسني الندوي على طلب من المحدث الكبير الشيخ الجليل محمد زكريا

الكاندهلوي رحمه الله ، ونشرت الطبعة الأولى لهذه الرسالة من مطبعة ندوة العلماء ، وهذه هي الطبعة الثانية التي أشرف عليها ، واعتنى بها الأستاذ السيد عبد الماجد الغوري الذي حققها ؛ وعلّق عليها ، وصدرها بمقدمةٍ ضافيةٍ ، رفعت قيمة الكتاب ، وقامت بنشرها دار وحي القلم بدمشق .

نظرة على ذات البارئ تعالى

هذا كتاب ألفه العلامة الشيخ محمد شهاب الدين الندوي ؛ ضمن مؤلفاته العلمية التحقيقية التي أصدرتها الأكاديمية الفرقانية في مدينة بنغلور ، وقد أكمل هذا الموضوع في ضوء النظريات القديمة والحديثة التي تبحث عن ذات الله تعالى وصفاته ، وكان أهم كتاب صدر بعد وفاته ، أصله باللغة الأردية ، ونقله إلى العربية الأخ العزيز الأستاذ محمد وثيق الندوي ، وقام بتحقيقه نجل المؤلف الأستاذ أنيس الرحمن الندوي .

والكتاب يتحلى بترجمة حياة المؤلف ، ومقدمة قيمة بقلم سعادة الشيخ العلامة محمد الرابع الحسني الندوي (الرئيس العام لندوة العلماء) ، وتقديم متواضع بقلم هذا العاجز ، وقد نال الكتاب قبولاً وإعجاباً في الأوساط العلمية .

رسالة دكتوراه حول الشعر العربي في ليبيا

في فترة الاحتلال الطلياني والإنجليزي في فترة (١٩١١-١٩٥١م)

إنها رسالة دكتوراه باللغة العربية أعدها الأخ الأستاذ أطهر حبيب بإشراف البروفيسور شبير أحمد (رئيس قسم اللغة العربية وآدابها بجامعة لكناؤ) بذل المؤلف جهوداً مشكورةً في البحث عن الشعر العربي في ليبيا في الفترة المذكورة أعلاه ، وجمع ما قيل في هذه الفترة من الشعر في هذا البلد العريق ، وقد وزعها بين مقدمة وستة أبواب .

وتحتوي الرسالة على بحث مستفيض ؛ حول الموضوع الذي وقع عليه اختيار صاحب الرسالة ، وهو من أسرة علمية دينية في مدينة بوفل ، وقد كان جده المرحوم فضيلة العلامة الشيخ محمد عمران خان الندوي ؛ قد تخرج من الأزهر كذلك ، وكان من علماء ندوة العلماء في الهند ، وقد ظل مديراً لدار العلوم ندوة العلماء إلى مدة طويلة ، وكذلك والده الأستاذ المفضال الشيخ حبيب ريحان خان الندوي الأزهري ؛ يتميز بين أقرانه بميزة العلم والدين ، والنظرة الواسعة والفكرة السليمة .

نهنئ المؤلف العزيز على ما وُفق إليه من كتابة مثل هذا البحث للعلم والأدب ؛ الذي نال به شهادة الدكتوراه بدرجة عالية من القسم العربي بجامعة لكناؤ . والله ولي التوفيق .

*****

إلى رحمة الله تعالى :

الأديب الإسلامي الأستاذ محمد حسن بريغش

في ذمة الله تعالى

تلقّت بأسف شديد أسرة المجلة ورابطة الأدب الإسلامي العالمية في ندوة العلماء ؛ نبأ وفاة فضيلة الأستاذ الأديب الإسلامي محمد حسن بريغش ؛ الذي استأثرت به رحمة الله تعالى عقب نوبة قلبية في مدينة الرياض في يوم السبت ١٩/من جمادى الأولى ١٤٢٤هـ ، الموافق ١٩/يوليو ٢٠٠٣م ، وقد كانت أسرة البعث الإسلامي ؛ تلقّت رسالةً منه قبل الوفاة بمدة كانت تتضمن مقالات ؛ حول التربية الإسلامية ، نشرت في مجلة البعث الإسلامي ؛ ولا تزال ، لقد كانت وفاته المفاجئة باعثة على الأسى والألم البالغين في جميع الأوساط الأدبية والدعوية ، وكان لها وقع شديد على نفوس جميع أولئك الأدباء والدعاة الذين كانوا يعرفونه عن كثب ، وكان لهم حظّ المشاركة معه في برامج الأدب الإسلامي ،

فإنا لله وإنا إليه راجعون .

كان الفقيد من روّاد الأدب الإسلامي الأولين ممن كان لهم سبق في هذا المجال ، ونصيب في تأسيس رابطة الأدب الإسلامي العالمية التي كان من أعضائها المؤسسين والمساهمين في ندواتها الأدبية التي عُقدت في عواصم الدول العربية الإسلامية عاماً لعام تحت رئاسة سماحة العلامة الشيخ السيد أبي الحسن علي الحسني الندوي رحمه الله.

لقد كان الراحل الكريم بريغش من مواليد عام ١٩٤٢م في سوريا ؛ تخرّج من جامعة دمشق ، وظلّ أستاذ اللغة العربية في سوريا ، وأخيراً في المملكة العربية السعودية ؛ حيث كان مؤظفاً في قسم المناهج التابع لرئاسة تعليم البنات .

كان الأستاذ بُريغش من جماعة الأدباء الإسلاميين ، والعاملين في مجال الأدب والدعوة ، وكان يكتب ويؤلّف حول الأدب الإسلامي ؛ و القصة الإسلامية ، وقد حقق الله أمنيته في مجال خدمة الأدب الإسلامي ، و وفّقه إلى أن يكون جندياً في المعركة الدائرة بين الأدب الإسلامي الملتزم وغيره من الآداب المتحررة عن القيم الخلقية المثلى ، فلما تأسست رابطة الأدب الإسلامي العالمية ؛ رأى فيها تحقيقاً لحُلمه القديم ، وركّز على دراسة الأدب الإسلامي وإنتاجه ، فقام بتحقيق "ديوان الشاعر هاشم الرفاعي" ، وألّف وكتب واهتمّ بإخراج كتب ومؤلفات ؛ حول الموضوع ، وعكف على الكتابة والتأليف إلى آخر أيام حياته ؛ حتى فاجأته المنية ، وهو مكبّ على عمله الأدبي الموضوعي ، وكانت وفاته خسارة كبيرة في مجال الأدب الإسلامي ، ومبعث أسف وحُزن بين صفوف الأدباء الإسلاميين ، وأسرة رابطة الأدب الإسلامي العالمية .

تغمده الله سبحانه وتعالى بواسع رحمته ، وتقبّل خدماته ، وغفر له زلاّته ، و أسكنه فسيح جناته ، و ألهم أهله و ذويه الصبر على

المصاب ، فإن الله مع الصابرين .

فضيلة الشيخ المفتي مظفر حسين في ذمة الله تعالى

فقدت الأوساط العلمية والدينية في الهند أحد الأعلام ممن تميز بالعلم والفقه والورع ، وعُرف بالعكوف على التعليم والتربية والدعوة ؛ ونشر علوم الكتاب والسُنّة ، وكان مثالاً لعالم ربّاني محبّب في كل طبقة ؛ ومعروف بفكره المتزن ؛ لدى كلّ جماعة ، وقد أكرمه الله بالتواضع والأخلاق الفاضلة .

كان رئيس هيئة الإفتاء لجامعة مظاهر العلوم بسهارنفور ؛ حيث قضى جُلّ حياته في عمل الإفتاء ؛ وتدريس العلوم الإسلامية ؛ وكتابة الفتاوى حتى كان له رسوخ في العلوم الدينية ، ولا سيّما في الفقه ، كانت فتاواه معروفة بالبيان الواضح في ضوء الكتاب ؛ والسُنة والإجماع ، حصلت له إجازة في رواية الحديث والعلوم من كبار الشيوخ والأساتذة ، وظلّ على هذه الصفات الممتازة إلى آخر حياته ، يفيد ويفتي ويرى رأيه في القضايا والمشكلات ؛ حتى صار مرجعاً لروّاد العلم والدين ؛ وطلبة العلوم الإسلامية .

وافته المنيّة في يوم مبارك من الشهر الفضيل المنصرم ؛ هو ٢٨/رمضان ١٤٢٤هـ ، المصادف ٢٤/نوفمبر عام ٢٠٠٣م ، فإنا لله وإنا إليه راجعون .

ونحن إذ ننعى إلى القرّاء هذا العالم الجليل الذي حدث بوفاته فراغ كبير في الأوساط الدينية والعلمية نبتهل إلى الله تعالى أن يتغمده بواسع رحمته ، ويصفح عن زلاته ، ويغفر جميع خطاياه ، ويكرمه بالجنة والنعيم ، وألهم أهله وذويه الصبر والسلوان ، ويجعله ممن أنعم عليهم من النبيين والصديقين والشهداء والصالحين .

وحسن أولئكَ رفيقاً .

فضيلة الشيخ محمد أفضل حسين في ذمة الله تعالى

كما ننعى إلى القراء الكرام المفتي أفضل حسين ؛ رئيس هيئة الإفتاء في دار العلوم الإسلامية في مدينة "بستي" ، خلال رحلة دعوية قام بها إلى جنوب الهند ، وذلك في أواخر رمضان ١٤٢٤هـ ، فإنا لله وإنا إليه راجعون .

لقد كان الراحل الكريم يتمتع بالنظرة الواسعة على الفقه الإسلامي ، وشئون الإفتاء ، وكان رئيس المفتيين في دار العلوم الإسلامية ، وكانت فتاواه تنال القبول في الأوساط العلمية .

رحمه الله رحمةً واسعةً ، وغفر له زلاّته ، وأسكنه فسيح جناته ، وجزاه بخير ما يجزي به عباده العاملين المخلصين ، والله ولي المتقين .

الحاج إبراهيم الخانفوري الغجراتي

في ذمة الله تعالى

تلقينا ببالغ الأسى والحزن نبأ وفاة الشيخ الحاج إبراهيم الخانفوري رحمه الله تعالى في ٢٤/رمضان المبارك سنة ١٤٢٤هـ يوم الخميس ، فإنا لله وإنا إليه راجعون .

كان الفقيد من مؤسسي المدرسة الإسلامية في خانفور بغجرات ، وكانت علاقته بها من ٥٤/عاماً ، وقد مَثَّل دوراً هاماً في رفع الخلاف الذي كان يحدث حيناً لآخر في القيام بالأعمال الدعوية والتعليمية والدينية ، وكان متبعاً للشريعة الإسلامية السمحة في جميع الشئون والمعاملات ، وكان عمره وقت الوفاة ٧٥/عاماً ، خلّف وراءه زوجةً وأولاداً من الذكور والإناث ، ألهم الله تعالى جميع أعضاء أسرته ، وذويه صبراً جميلاً ، وتغمده الله بواسع رحمته ، وأجزل مثوبته وأدخله فسيح جناته ، فإنه نعم المولى ونعم النصير .

****

ALBAAS-EL-ISLAMI
NADWATUL ULAMA
P.O.Box No. 93, Lucknow (India)
Phone:2741235-2741272
Fax:0522-2741221-2741231

البعث الإسلامي
ندوة العلماء
ص.ب ٩٣ لكناؤ (الهند)
هاتف : ٢٧٤١٢٣٥-٢٧٤١٢٧٢
رقم الفاكس : ٢٧٤١٢٢١-٢٧٤١٢٣١-٠٥٢٢

رسالة أخوية مهمة

حضرة الأخ القارئ الكريم ! حفظه الله تعالى للإسلام

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته

و بعد فأتمنى على الله سبحانه أن تكونوا في خير وعافية وصحة جيدة ، نشكركم على ما تتابعون من قراءة : "البعث الإسلامي" ، وهي مجلتكم و مجلة كل محب للصحافة الإسلامية الهادفة ، تصدر من ٤٨/عاما بالاستمرار ، وهي الآن في عامها التاسع والأربعين – والحمد لله – .

لا يخفى عليكم أن المجلة إنما تصدر في ظروف قاسية جدا ، وبتكلفة باهظة ، وهي بأمس حاجة إلى تعاون كريم منكم ، وذلك بتقديم دعم علمي ومادي منكم ، وببذل شئ من الاهتمام بتوسعة نطاق مشتركين جدد من جملة إخوانكم وأصدقائكم ، ولكم منا الشكر الجزيل ومن الله تعالى حسن القبول .

أرجو التكرم بتحويل أي تبرع أو اشتراك للمجلة بواسطة شيك صادر من أحد البنوك ، باسم : (ALBAAS-EL-ISLAMI) .

يلغون لتالي :
مكتب "البعث الإسلامي"
مؤسسة الصحافة والنشر
ندوة العلماء – ص. ب ٩٣
لكناؤ (الهند)

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته
أخوكم المخلص
سعيد الأعظمي الندوي
رئيس تحرير مجلة "البعث الإسلامي"
ص. ب٩٣ – مؤسسة الصحافة والنشر
ندوة العلماء – لكناؤ (الهند)